روايات عبير

قيود ومشاعر

www.elromancia.com

مرمورية

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

No. 076

روايات عبير

قيود ومشاعر

◆ عاشت منطوية خائفة بلا أصدقاء أو تجارب فى الحياة .. بعد وفاة أمها بقيت مع خالتها فى عزلة تجرع الوحدة والمعاناة والألم .. وتسمع الكثير عن والدها المستبد الشرير الذى هجر البيت منذ اثنتى عشر عاماً ولا أحد يعرف مكانه .. انهت الابنة جين دراستها المتوسطة .. واكتشفت فجأة أن والدها لم يتخلى عنها .. لكن الخالة دوروثى كانت تحجب الرسائل عن الابنة .. بل وأرسلت خطابا له تطالبه بعدم الكتابة إلى ابنته لأنها تكرهه .. وقعت بالصدفة رسائل الأب بيد الابنة .. فكتبت إليه .. وارسل فى طلبها بإحدى الجزر النائية .. وبرغم تحذيرات خالتها سافرت إليه .. واكتشفت الحقيقة .. وهناك تلتقى برجل بادلته الكراهية .. إلا أنه كان صديقاً لوالدها .. وتدور مصادمات لا حدود لها بينهما.

ترى هل ستغادر جين الجزيرة إلى لندن ..؟ وكيف استطاعت مواجهة هذا الرجل الذى كرهته ..؟

I.S.B.N. 977-376-178-9
9 789773 761783

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

W.Salama 0101517873

No. 076

روايات عبير

قيود ومشاعر

ماري ويبرلي

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

www.ahlamontada.com
مرمرية

اسم السلسلة : روايات عبير
اسم الكتاب : قيود ومشاعر
اسم المؤلف: ماري ويبرلي
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٥٦٢٨/ ٢٠٠٦
الترقيم الدولي: I.S.B.N 977-376-178- 9
تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة
جمع اليكتروني: فور إتش ٠١٠/٦٦٧٤٣٢٥

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
٢٠٠٦

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣١٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

روايات عبير 076

قيود ومشاعر

١- إنه يريدها

أول ما شاهدت جين هذا الرجل نفرت منه وقضمت شفتيها وسارعت للقراءة فى المجلة المفتوحة فوق ركبتيها محاولة أن تحجب عن أذنيها ضجة الاصوات المرتفعة فى مبنى المطار فى المرحلة النهائية من رحلتها الى جزيرة سارامانكا. كانت الخالة دورثى تبعد عنها آلاف الأميال، هناك فى انجلترا، وبرغم ذلك كانت كلماتها تطن فى اذنيها: لن تستطيعى ان تعيشى وسط هذا اللجيج.»

لم تكن هناك فائدة. فقد كان من المستحيل تجاهل ذلك المشهد كما كان من المستحيل تجاهل الخالة دورثى وقد انطلقت فى انفعال.

رفعت جين رأسها على مضض ونظرت ثانية الى الرجل المتسبب فى تلك الضجة. كانت قامته أطول من الآخرين، وشامخا أمام بعض الموظفين، وأمام المرأة الصينية المنحنية متشبثة بحقيبتها الرثة. كان هناك أيضا عدد من المتفرجين الذين شدهم ذلك المشهد. كان الرجل غاضبا وبرغم هذا لم يكن صوته مرتفعا. بيد أنه عندما كان يتكلم، كان مهيبا كمن له سلطان، وكان الآخرون يسمعونه لفترة وجيزة، ليتحركوا من جديد ملوحين بايديهم، وجبينهم مرهق فى يأس واضح .

لم تكن لدى جين أدنى فكرة عما يدور حولها. المرأة الصينية يعلو هامتها المشيب، هادئة بجلال غريب وسط ذلك الهياج.

«يبدو أننا سنظل هنا الى أن تنتهى المشكلة.»

رفعت رأسها سريعا لتنظر الى الرجل فى جوارها. يبدو أنه أميركى، وقد تدلت آلة تصوير من عنقه فوق قميص منقوش بأزهار تخطف البصر:

«نعم، برغم أنى لا أعرف السبب.»

الرجل كان فى الستين من عمره تقريبا، بشرته سمراء وشعره كستنائى وعيناه بنيتان. جلس فى جوارها، وقد اعتبر ردها دعوة صريحة لتبادل الحديث وقال:

«يبدو أن ذلك الشخص المسئول يعترض على ركوب السيدة الصينية الطائرة الى سارامانكا، أو على الأقل هذا هو الانطباع الذى كونته.»

نظرت عبر القاعة نحو الرجل. ترى ماهى جريمة مثل تلك المرأة المسكينة للوقوف أمام رجل كهذا؟ من الواضح أنه لا توجد جريمة على الاطلاق. ثم بدأ الجمع يتفرق. واقتاد أحد المسؤولين المرأة بعيدا تاركا إياها تحمل حقيبتها بنفسها.

«إنه قليل الذوق...»

لم تكن تعى أنها تحدثت بصوت مسموع الى أن رأت الرجل الجالس جوارها يلوى قسمات وجهه فى شبه إبتسامة.

«أنه يبدو كرجل قادر أن يصل الى ما يريد.»

وهو يقدم لجين كارت شخص:

«دعينى أقدم نفسى. جاكسون تى ميلار. يمكنك الاحتفاظ به هل أنت ذاهبة الى سارامانكا»

«نعم، فى أجازة.»

ترددت جين عند لفظها الكلمة الأخيرة. فليس فى وسعها أن تشرح لهذا الغريب عن أسباب سفرها.

«سأحضر بعض العصائر. ماهو شرابك المفضل؟»

ترددت جين ولكنها ابتلعت مخاوفها وقالت بخجل:

«أى شئ مثلج. اسمى جين ريتشى.»

إنى مسرور بلقائك يا جين. فأنا لا أحصل كل يوم على فرصة التحدث مع فتاة جميلة.»

اختفى وسط الناس، الذين بدأوا يتحركون بشكل طبيعى بعد أن انتهى الحدث المثير. اختفى الرجل المسئول، لكن أحست جين برعشة خفيفة إنها لم تره إلا عن بعد و مع ذلك تلقت انطباعا بأن قوة قاسية تنبعث منه. الرجل شديد السمرة وقد لفحته الشمس، يرتدى بزة بلون الظبى الصغير من قماش خشن. لن تراه ثانية، هذا شئ يسعدها. بدأ ينقشع قدر من اليأس الذى خيم على جين قبل أن تترك لندن منذ ساعات. فهى لم تقدم على شئ خاطئ على الاطلاق. كل شئ سيسير على ما يرام، برغم تنبؤات الخالة دورثى المليئة بالتشاؤم.

www.elromancia.com

تطلعت جين أمامها، لكنها لم تر ذلك الحشد، ولم تسمع تلك الثرثرة الحادة المتنوعة اللغات فللحظات عادت بذاكرتها الى لندن لتعيش من جديد الصدام المرير مع خالتها.

«أنها فرصتك الأخيرة يا جين. اذا ذهبت فلن تعودى الى هنا ابدا.»

كانت الخالة دورثى تقف إلى جوار النافذة مولية ظهرها لجين. وحين استدارت ببطء كانت هناك بقعتان مشتعلتان فوق وجنتيها وأحست جين بوخزة تسرى فى أعماقها بقوة لعلها نتيجة الشعور بالاشفاق، اذ فجأة رأت عمتها على حقيقتها، امرأة وحيدة فى خريف عمرها تشعر بالمرارة وهى ترى ابنة أختها تتحداها للمرة الأولى فى حياتها.

«خالتى دورثى، اعلم أنك كنت كريمة للغاية عندما سمحت لى بأن أعيش معك السنوات الست الأخيرة وانا اقدر كل ما فعلته من أجلى، ولكن ألا تستطيعين أن تتفهمى موقفى، أريد أن اشاهد والدى ألا يمكنك أن تقدرى وضعى؟»

«كنت فى السادسة من عمرك. عندما هجر والدك البيت ولم يسأل عنك. ماذا تتذكرين عنه؟ لاشئ. لم يكن يصلح لشئ ولن يصلح أبدا.»

كانت يدا الخالة دورثى متشبثتين بظهر المقعد وقد بدت مفاصلهما بيضاء من التوتر ووجهها شاحبا.

هزت جين رأسها وهى تقول:

«بعث الى برسائل مرات عدة. دون ان تسلمينى واحدة منها. ولو لم

يكشف لى ساعى البريد الأمر مصادفة لما علمت بذلك. لماذا اخفيت الرسائل عنى؟»

«فعلت ذلك من اجلك انت. لم أكن أريد أن أزعجك.»

«كانت الرسائل لى. لم يكن من حقك يا خالتى أن تخفيها عنى.»

«لى كل الحق فى ذلك. انت تعيشين فى بيتى وفى حمايتى.»

ضغطت جين على الرسالة الأخيرة التى تمدها بالشجاعة لم تعد تخشى الآن تلك المرأة التى سيطرت على حياتها منذ كانت فى الثانية عشرة من عمرها، منذ وفاة أمها.

«أنا أدرك الآن الى أى حد كنت مستاءة لبقائى معك. أنا آسفة على كل حال وسأبذل قصارى جهدى لأعوضك عما بذلت. سأعمل فى عطلة نهاية الاسبوع إبان دراستى فى كلية المعلمات.»

توقفت عن الكلام بعدما رأت وجه خالتها الغاضب المتجهم. اندفعت الدموع الى عينيها. أحست بصدمة حين اكتشفت فجأة أن خالتها تبخل عليها بتلك الرعاية التى منحتها إياها طوال تلك السنين. والآن اتخذت جين قرارها، النهائى و ليحدث ما يحدث فهى ذاهبة لرؤية أبيها. انه لم يكن فى حالة صحية تسمح له بالسفر وإلا لكان حضر الى انجلترا. أبلغها ذلك فى رسائله، رسائله التى ظلت حبيسة صندوق مكتب خالتها. قرأتها جين جميعا: رسالة رسالتان كل عام، من أماكن مختلفة من شتى أنحاء العالم، عدا الرسائل الأربع الأخيرة، فجميعها أرسلت من جزيرة فى المحيط الهندى، اسمها سارامانكا. كانت طوابع تلك الرسائل رائعة الجمال عليها صور لطيور وأزهار

www.elromancia.com

غريبة. بعثت جين على الفور برسالة الى والدها. وجاءها الرد. بعد خمسة أيام، رسالة مقتضبة: رسالتى فى الطريق اليك وفيها نفقات الطائرة. احضرى أرجوك.

مسحت جين دموعها، واستدارت تحمل حقائبها، لم يعد هناك مجال لأى حديث.

«هيا، استيقظى يا حلوتى جين. ان الثلج يذوب.»

كلمات قليلة اعادت جين الى الواقع، لترى صديقها الجديد يراقبها بابتسامة عريضة.

«أنا آسفة، سافرت مع تأملاتى الى بعيد»

أخذت الكوب من يده مبتسمة، شاكرة صديقها الاميركى، ثم مر إلى جوار المائدة احد الخدام ليقول:

«ستقلع الطائرة بعد خمس عشرة دقيقة.»

قاومت جين احساسا بالذعر بدأ يهاجمها. لقد اقتربوا الآن من نهاية رحلتهم. ماذا لو كانت الخالة دورثى على حق: هل هى متهورة حمقاء؟ انطلقت الافكار فى دوامة طاحنة ثلاث ساعات أخرى ويصلون.

سألت رفيقها الاميركى:

«هل ذهبت قبل الآن الى سارامانكا؟»

«نعم، مرة أثناء الحرب لا يمكننى ان انساها. وهذا هو السبب عودتى اليها.»

«اخبرنى عنها بالتفصيل من فضلك.»

«أظن أنها مختلفة الآن، لكنها مكان فسيح قد يصل طولها الى ستين ميلا. تبدو من الطائرة وكأنها سمكه عملاقة. خضراء جدا، أشجارها مورقة وذات طبيعة ساحرة».

كانت فى عينيه نظرة حالمة كأنه غجرى منطلق مع قيثارته:

«نعم يا آنستى، انها رائعة. هناك ينمو قصب السكر على مدى أميال وأميال.»

«هل أنت ذاهب فى أجازة؟»

«يمكنك ان تسميها رحلة الى الماضى.»

توقف قليلا ثم ابتسم وقال:

«ولكن ما الذى يجعل فتاة مثلك تقطع كل هذه المسافة وحيدة لتأتى الى سارامانكا؟»

روت له جين بايجاز قصة حياتها، وتصرفات خالتها، ورسالة أبيها ودعوته المفاجئة لها.

«هذا شئ رائع. ألم تريه منذ اثنتى عشرة سنة؟ أراهن أنه سيكون لقاء رائعا.»

عبر الميكروفون جاء صوت المذيعة الجاف:

«الرجاء من المسافرين الى سارامانكا التوجه الى الباب الرئيسى.»

جلست جين فى مقعد مجاور للنافذة محدقة فى الحشد الصغير

www.elromancia.com

المتجمع أمام مدخل الباب الرئيسى وأحست بالارتياح وهى ترقب ذلك الحشد لأنه لم يكن هناك أثر لذلك الرجل الغريب الطويل القامة. أقلعت عدة طائرات منذ أن حدث ذلك المشهد الكريه فى المطار. من المحتمل أن يكون قد استقل إحداها. لم يكن هناك أثر أيضا للمرأة الصينية. وتساءلت جين عما يكون قد حدث لها. إن منظر تلك المرأة العجوز وهم يقودونها بعيدا لا يبرح مخيلتها. وعندما كانت على وشك أن تدير رأسها بعيدا عن النافذة لتحدث رفيقها المنهمك فى دراسة بعض الأوراق التى استخرجها من محفظته، توقفت وأطلقت شهقة وقالت:

«أوه... لا.»

«ماذا هناك؟»

«أنظر.»

أشارت جين الى رجل طويل يسير متمهلا خارجا من المبنى. كان هو ذلك الرجل نفسه، الذى تسبب فى ذلك الصخب بالمطار يسيرالآن نحو الطائرة. كان قد خلع سترته، وحملها فوق كتفه، كان يبدو همجيا وكأنه غير مبال بأى شئ حوله.

«اعتقدت بأنه رحل.»

«أنا أيضا. هل قلت إن الجزيرة كبيرة؟»

«كبيرة بالقدر الذى يكفى لكى لا تصدمى به، إذا كان هذا ماتعنينه من السؤال.»

ضحك ضحكة أبوية وقال:

«هل تكرهينه الى هذا الحد؟»

«أنا لا أحب أى شخص يستخدم ماله و نفوذه أو أى شئ ليستأسد على من هم أضعف منه.»

«فى عينيك بريق غامض، أتدرين أنك جميلة حقا؟ تذكرينني بابنتى الصغرى»

تحسس جيب سترته وأخرج محفظة سحب منها صورة بناته وزوجته، فراحت جين تلهى نفسها بمشاهد الصور كيلا ترى الرجل الهمجى الذى دخل الطائرة فى اللحظة نفسها، حانيا رأسه ثم سار متجها نحوها.

«أنهن جميعا جميلات.»

قالت ذلك وهى تتجاهل المضيفة وهى تحوم حول الرجل الذى استقر فى مقعد فى مؤخرة الطائرة. وقد جرت بينهما أحاديث لم يكن فى وسعها أن تسمعها وعادت جين تتأمل افراد عائلة رفيقها الاميركى. عرفت ماذا كان يعنى جاكسون بالتشابه بينها وبين إبنته. كانت الفتاة طويلة، ربما أطول قليلا من جين. كان شعرها طويلا مسترسلا داكنا كما كان هناك تشابه طفيف مع عينى الفتاة الواسعتين ذاتى الرموش الكثيفة.

أعادت جين الصور مبتسمة إلى رفيق السفر. كانت برغم كل شئ مستيقظة تماما الى وجود الرجل الجالس خلفها. وحين دعى الركاب الى ربط الأحزمة استجابت تلقائيا قد تكون تلك هى المرة الأخيرة التى سترى فيها الرجل الضخم بعد مغادرة المطار. على اى حال ان ما

www.elromancia.com

يهمها الآن هو انها ذاهبة الى والدها. لفحتهم الحرارة وهم يغادرون الطائرة. تعثرت جين على السلم فأمسك جاكسون بذراعها ثم نظر اليها. فى حنان وقال:

« هل سيكون والدك باستقبالك يا ابنتى؟»

هزت رأسها وهى تطرف بعينيها قليلا من شدة وهج الشمس:

«كلا. طلب من إحدى جاراته ان تستقبلنى أرسلت صورتى فى رسالتى الأخيرة وقال لى انها ستتعرف على أنا أشعر ببعض الدوار.»

«سأنتظر حتى تأتى هذه الصديقة. لا أحد يعرف ماذا سيحدث.»

«أنت طيب للغاية، لكنى»

«لا يمكننى ان أتركك وانت فى هذه الحال.»

«آسفة ماذا قلت؟»

أعادها صوت جاكسون مرة أخرى الى الواقع.

«يبدو أن تلك السيدة القصيرة تلوح لك.»

نظرت جين الى الحشد الصغير المتجمع خلف حاجز خشبى. الجميع يلوحون بالمناديل تنطلق منهم أصوات سعيدة صاخبة، رأت أمرأة شقراء تلبس بسيطا متخما بالازهار. كانت تمسك بصورة فوتوغرافية، وعيناها تحدقان فى جين وهى تبتسم:

«أنت على حق. هذه المرأة جاءت لاستقبالى.»

لم يكن ما عاشته حلما. أن أباها موجود هنا بالفعل، وقد أرسل فى طلبها. وها هى فى طريقها إليه.

قالت المرأة الشقراء ذات الاربعين عاما:

«يا عزيزتى جين، عرفتك فورا - أنا ميغان ديفيز جارة أبيك هل كانت رحلتك جيدة؟»

«رائعة. شكرا لكننى متعبة قليلا.»

وبعدما تعرف جاكسون الى المرأة قال:

«سعدت بلقائك يا ديفيز. كنت أود فقط الأطمئنان على سيكون فى لقاء جين.»

قالت جين ضاحكة:

«شكرا لك على رعايتك واهتمامك.»

وبعد مغادرتهما أرض المطار حدث شئ غريب. أطلقت ميغان نفير سيارتها ولوحت بيدها. استدارت جين وفى ظنها انها تلوح لجاكسون لكنها كانت سيارة مرسيدس بيضاء انطلقت بجوارهما. وأثناء ذلك حيا السائق ميغان. لم يكن ذلك الشخص سوى الرجل الهمجى الضخم.

«لم أعرف أنه عاد على الطائرة نفسها معك.»

استدارت ميغان فى ذهول فى اتجاه جين، ورأت التعبير الذى يعلو وجهها وقالت:

«ماذا هناك يا عزيزتى؟»

«لا شئ.. سبق لنا وشاهدنا هذا الرجل فى مطار جافر كان يتشاجر بعض مع بعض الموظفين.»

انطلقت ميغان ضاحكة:

www.elromancia.com

«انه غافن غرانت المعروف فى كل مكان. ماذا كان سبب الشجار؟»

« لا أعرف.»

ردت جين بهدوء مدركة أنه تقف على أرض هشة. فهذا الرجل، كما يبدو صديق لميغان. لذا ينبغى الا تخطئ بحقه.»

لكنها لم تستطع الكذب، وأفصحت قائلة:

«جاكسون يعتقد أنه كان يحاول منع امرأة صينية من ان تستقل الطائرة. كانت تقف هناك ممسكة بحقيبة ضخمة من الكرتون، ثم اقتادوها بعيدا وما عدنا رأيناها.»

«أنا واثقة، أن الحقيقة مختلفة تماما.»

«كيف حال أبى؟»

ادارت جين ان تغير مجرى الحديث

«ليس على ما يرام يا جين. انه فى شوق بالغ الى رؤيتك طوال الاسابيع القليلة الماضية ومنذ أن قلت إنك قادمه كان كالطفل. اضطر ماك أن يعطيه مهدئا غير مرة.»

«ماك؟»

«الدكتور دانكان ماكدونا هو معروف لدى ابناء الجزيرة باسم ماك أنه لم يفقد أبدا لهجته الاسكتلندية الواضحة وهو ووالدك صديقان قديمان.»

«بماذا يشعر أبى؟»

«لا نعلم. ماك طلب منه أن يذهب ليعرض نفسه على صديق له أخصائى فى سيلان. لكنه رفض باصرار ارجو ان تحاولى أنت اقناعه.»

«سأحاول بالطبع.»

ربتت ميغان على ذراعها.»

«أنا سعيدة بمجيئك يا جين فانا فى حاجة الى صديقة رقيقة تخفف عنى وطأة الرجال.»

«هل هذا أمر سئ؟»

«كلا، ولكن ليس فى وسعك أن تتحدثى معهم بالطريقة نفسها، أتستطيعين ذلك؟ ابنى كولين سيحاول على الأرجح أن يختطفك بعيدا، لكننى سأكون حازمة.»

«كولن؟ ما عمره؟»

كانت جين تتصوره غلاما فى سن المراهقة.

«٢٣ سنة. انه يعمل لدى غافن.»

«أنا لا أعرف أى شئ عنك وعن عائلتك.»

«أنا أسكن قريبا من أبيك. وعندما أقول جارته الملاصقة فهذا صحيح الى حد ما لكن منزلى يبعد عنه حوالى نصف ميل تقريبا. أنا أرملة منذ سبع سنوات وأعيش مع ابنى كولن. أما أبوك فيعيش وحيدا باستثناء إلين مديرة المنزل هى لطيفة للغاية ولكنها استفزازية جدا

www.elromancia.com

والى السيطرة. ثم هناك غافن.»

«أتعنين ان غافن هذا جار لأبى أيضا؟»

«نعم يجب أن ترى منزله يا عزيزتى أنه خرافى. فهو فى الواقع يملك الجزيرة ويفرض عليها قوانينه الخاصة كما ستكتشفين بنفسك.»

ضحكت ثم استطردت:

«هناك ليونى سمايث وابنتها سارة لكن منزلهما يبعد أميالا عدة. ستلتقين بهما حتما. احب ان اعرف رأيك فيهما، ان ليونى ترغب فى أن ترى ابنتها زوجة لغافن، وهى قد ترى فيك المنافسة الخطيرة لابنتها. ألم يقل لك أحد بعد كم أنت جميلة؟ لو كنت أملك عينيك الخضراوين لكنت فى قمة السعادة.»

صمتت جين، أدركت فجأة أن ميغان كانت تتحدث فى صدق، الخالة دوروثى غرست فيها وبصفة مستمرة أنها مجرد فتاة عادية، وتقبلت هى هذا الوضع، كان ذلك يجعل الحياة أسهل. والان بدأت تدرك أن آراء الخالة ليست دائما سليمة.

وصلتا الى المنطقة المتحضرة، بدت لمحات خاطفة لبعض الفيلات من خلاله أشجار النخيل الكثيفة. مبان منخفضة بيضاء ذات أبواب منقوشة، وصاحت جين:

«أنها رائعة.»

«وصلنا الآن الى منزل غافن، انظرى الى يسارك يا جين، هناك منزل عال ذو شبابيك خضراء تحيط به حديقة ملأى بالاشجار والازهار اليانعة المورقة من كل نوع ولون.»

«هل يسكن هنا؟»

«نعم، انه يقيم حفلات رائعة تظل حديث سارامنكا كلها.»

شعرت جين بما يشبه الغثيان بسبب حرارة الجو الخانقة من جهة وبسبب ازدياد كرهها لغافن الذى يحظى، على ما يبدو، باحترام المرأة التى ترافقها.

وعقدت العزم على ألا تذهب الى اى من حفلاته اذا دعاها فهذا أمر مستبعد.

أدركت، وقد أسرعت خفقات قلبها، أنهما يقتربان من منزل أبيها. كيف سيكون شكل البيت من الواضح أن هناك ثراء أين هو مما قالته الخالة دورثى؟ قالت أنه على الأرجح يعيش فى كوخ بناه من اعشاب الشاطئ ياليتها كانت هنا الآن.

«أشكرك، لك يا مغان حضورك لاستقبالى بالمطار.»

ضحكت ميغان قائلة:

«يجب أن أعترف بأننى كنت متشوقة لاراك. آمل أن أكون حاضره عندما تلتقين بليونى وابنتها وسارة.»

«أنا ارجو ذلك أيضا يا عزيزتى»

«وصلنا.»

إنعطف السيارة الى طريق خاص واسع متعرج يشبه كثيرا الطريق المؤدى الى منزل غافن غير أن المسافة بين الطريق والفيللا. البيضاء

التى ظهرت الآن كانت أقصر. شهقت جين فى دهشة عندما شاهدت المنزل. كانت هناك شرفة طويلة فيها أعمدة بيضاء رفيعة تدعم قرميد السقف. وكانت النوافذ ذات لون أخضر فاتح وقد فتحت على مصراعيها أمام أشعة الشمس. كل هذا محاط بمنظر الأزهار والورود وذات الرائحة الشذية وقد ترعرعت فى انطلاق حول الحشائش الخضراء:

قالت جين:

«لم اكن اتوقع ان يكون بيت ابى فى مثل هذا الجمال.»

«حسنا تعالى يا عزيزتى فأبوك ينتظرك على احر من الجمر.»

كان هناك شئ غريب فى الطريقة التى تحدثت بها ميغان لكن جين لم تكتشف السبب الا بعد فترة.غادرت السيارة وهى تشعر بالتعب. وسط حرارة شديدة مشبعة بالرطوبة.

قالت ميغان:

«ستعتادين على ذلك حاولى الاحتفاظ بطاقتك الى ما بعد الظهر وأؤكد لك أن الجو يصبح أبرد وألطف فى المساء.»

دخلتا الى بهو رطب جدرانه بيضاء فيه سجاجيد رقيقة فوق أرضيته الخشبية اللامعة. كان هناك أيضا العديد من اللوحات المعلقة فوق الجدران. وغيتار ينعكس خشبه الداكن الضخم مع لون الجدار الأبيض المبهر من خلفه. فرحت جين برؤية الغيتار وكانت على وشك أن تتكلم عندما سمعت صوتا يقول:

«ميغان، هل أحضرت ابنتى معك.؟»

جاء صوت ميغان ينغم شجى:

«نعم ياجون، وستأتى فورا.»

دخلتا غرفة جلوس فسيحة فى مؤخرتها نوافذ واسعة تطل على مزيد من الحدائق تنحدر نحو غابة من النخيل ذى الورق اللامع المتمارج تناثرت فى الغرفة قطع من الأثاث الخيزرانى الرقيق التى أعطت انطباعا بالاناقة وقد امتلأت الجدران بمزيد من اللوحات. وسط كل هذا كان الرجل هو الذى أستحوذ على انتباه جين وقد تلاشى كل عداه وهو ينهض من مقعده وذراعاه ممدوتان.

«جين، ابنتى....»

كان صوته منفعلا حنونا، واتجهت نحوه كأنها فى حلم. كان هذا هو الرجل الذى حلمت به ولم تتخيل أنها ستراه. كان أكبر سنا مما كانت تختزن ذاكرتها، لكن جون ريتشى كان رجلا وسيما، وكان شعره الداكن الذى يتخلله لون رمادى باهت ممشطا الى الخلف كاشفا عن جبين عريض، كانت عيناه تشبهان كثيرا عينى ابنته، حنونتين، مليئتين بالحزن.

«أبى، أبى!»

«جين طفلتى بين يدى الآن بعد كل تلك السنوات.»

تعلق كل منهما بالآخر فى شوق ثم أبعدها فى رفق:

«دعينى أتمالك. انا لا اصدق انك انت ابنتى حقا.»

«نعم أنا ابنتك. وعندى الكثير مما يجب ان تطلع عليه.»

«لا. ليس الآن يا ابنتى قلت لى ما يكفى يا جين فى رسائلك. لست فى حاجة الى أن تقولى شيئا عن شخصية دورثى. أين ميغان؟»

عادت ميغان وهى تبتسم:

«سمحت لى إلين أن أحضر لكما هذا بنفسى ستجئ هى ببعض الكعك.»

استطردت ميغان وهم يتناولون القهوة:

«رأيت غافن قادما من المطار. لم أكن أعلم أنه سيكون على الطائرة نفسها مع جين.»

رفع جون ريتشى، حاجبيه فى دهشة:

«ولا أنا أيضا، غريب أنه لم يذكر ذلك عندما كان عندى امس!.»

نظر الى جين متسائلا:

«هل رأيته يا جين؟»

وقبل أن ترد جين اندفعت ميغان ضاحكة:

«أخشى يا جون أن تكون جين قد أخذت انطباعا سيئا عنه. حدث مشهد صاخب فى مطار جافر، ويبدو أنه كان هو المتسبب فيه.»

ابتسم جون ريتشى وقال:

«آه فهمت، يمكن أن يكون مخيفا اذا كان فى احدى نوبات غضبه الحادة. لا بأس غدا تعرفه تماما عندما تتعرف اليه. أنا متأكدة من ذلك. والان أخبرينى يا جين ما رأيك فى سارامنكا؟ أهى كما تصورتها.»

تنفست جين الصعداء وراحت تروى لابيها ما شاهدته.

دخلت إلين، وكانت أمرأة سمراء ضخمة، وهى تحمل طبقا كبيرا مليئا بالكعك والشطائر. قدمها جون ريتشى لجين، وكان من الواضح أنه يحمل لها الكثير من التقدير. وعندما غادرت الغرفة نظرت ميغان الى ساعتها وقالت:

«يجب أن أذهب الآن الى اللقاء، سأمر غدا لأراكما .»

«أن ميغان صديقة طيبة ، وكذلك ابنها كولين ستكون هذه أجازة طيبة لك وسأبذل كل ما فى وسعى لاجعلها كذلك يا حبيبتى.»

«يكفى إنى هنا لم اتخيل لحظة ان ذلك سيتحقق.»

أمسك جون ريتشى بيديها وقال:

«لن نأسف على ما فات. ان المستقبل هو كل ما يجب أن نفكر فيه الآن. أريدك أن تفكرى بجدية فى البقاء معى، أن تجعلى من هذا المكان بيتا لك كان لكلماته وقع غريب على جين.»

«أنا - أنا»

«لا ليس الآن. أنا لا أريدك أن تقررى شيئا الآن. أنا رجل ثرى يا جين. لقد كنت محظوظا وليس لى من أفكر فيه سواك. لكن القرار هو قرارك. وأنا لست مستعجلا أشعر أننى صغرت عشرات سنوات بعد أن رأيتك. إنك تشبهين أمك كثيرا.»

توقف برهة ثم استطرد:

«لدى الكثير لأقوله لك - ولكن ليس الآن. سأستدعى إلين لتريك

www.elromancia.com

غرفتك. استغرقت فى إعدادها أياما عدة.»

ابتسمت جين وقد بدا عليها الإرهاق، ثم تذكرت شيئا فقالت:

«رأيت آلة غيتار فى البهو. أتعزف على الغيتار؟»

لمعت عيناه وهو يقول:

«كنت معتادا على ذلك فى الماضى. لا تقولى لى إنك تعزفين الغيتار أيضا؟»

«نعم، تعلمت ذلك فى المدرسة. كنت أود أن أحضر غيتارى معى لكنى لم أستطع نظرا للوزن المسموح به للأمتعة.»

ضحك والدها وقال:

«هذا رائع! جين تلعب الغيتار، لا أصدق ذلك. أتدرين أنه كان أول آلة أتعلم العزف عليها والآلة الوحيدة كذلك. أريدك أن تسمعينى بعض الموسيقى غدا؟»

«أعدك بذلك.»

انحنت جين لتقبله فى الوقت الذى دخلت إلين تطقطق بخفيها على أرضية الحجرة البراقة وقالت لها:

«إنك فى حاجة الى الراحة بعد سفرك الطويل المرهق، وغرفتك معدة. تعالى معى.»

عندما استقيظنت جين كان الظلام مخيما وكانت الغرفة باردة أحست بالجوع فجأة. قفزت من سريرها، لبست خفا من الفرو وتدثرت جيدا.

رأت ضوءا منبعثا من الطابق السفلى، وبعد تردد، نزلت فى هدوء. كانت تأمل أن تجد شيئا لتأكله. سارت عبر البهو حيث كان ضوء خافت يسطع على الغيتار وعلى اللوحات. توقفت جين أمام أحدهما، وقد نسيت جوعها وهى تحدق فى الألوان الزاهية فى لوحة صياد يقف فى جوار زورقه. كانت لوحة بالأولوان الزيتية بدت أكثر اثارة وغموضا تحت الضوء الخافت. خيل الى جين انها شاهدت اللوحة من قبل. ولكن كيف؟ لم تكن تدرى.

أحست بالحيرة، واستأنفت فى هدوء يشدها ذلك الوهج الدافئ المنبعث من مصباح فى غرفة تقع فى نهايه الممر، دفعت الباب لتجد نفسها فى المطبخ.

أتت إلين بحركة خفيفة فى مقعدها الهزاز ثم فتحت عينيها وابتسمت لجين قائلة:

«أنت جائعة أليس كذلك؟»

«نعم. أنا آسفة يا إلين اذا كنت أزعجتك.»

«يا طفلتى. لقد كنت أريح عينى فقط. كنت أعلم أنك ستستيقظين فى هذا الوقت. الجميع يفعلون ذلك بعد رحلة طويلة. إجلسى. هناك بعض الدجاج ساحضره لك.»

«شكرا يا إلين. رأيت منذ قليل لوحة زيتية فى البهو. هل أحضرها أبى معه عندما جاء الى هنا؟»

«ماذا؟ انه هو الذى رسمها. ألم تعرفى ذلك؟»

كانت دهشتها تعادل دهشة جين نفسها.

www.elromancia.com

«أتعنين أن أبى رسام؟ هذا غير معقول.»

«نعم انه كذلك. بل انه اهم رسام. هو يبيع لوحاته فى مختلف أنحاء العالم. أحقا لا تعرفين؟»

هزت جين رأسها وهى مذهولة. أن هناك البكثير لا تعرفه، بل لا يمكن لها أن تتخيله وقد بدأت الأشياء الآن تنتظم فى شكل محدد:

«لم أكن أعلم شيئا عن أبى، لم أعلم شيئا على الاطلاق يا إلين، الى أن اكتشفت رسائله ورددت عليها.»

«أصدقك يا عزيزتى، لا تضطربى هكذا. أنى فخورة بأنى أعمل لدى والدك. لقد حضر خبراء من شتى أنحاء العالم الى هنا ليروا اللواحات ويبتاعوها. ألم تشاهدى أيا منها من قبل؟»

هزت جين رأسها فى ذهول:

«لا أعلم لكن اللوحه التى فى البهو، لوحة الصياد والزورق، تبدو مألوفة لدى.»

«قد تكونين شاهدتها فى الصحف. فقد جاء الى هنا فى العام الماضى مراسلو عدد من المجلات والتقطوا صورا لاعمال ابيك. إن اسم اوغستاس ريتشى مشهور فى العالم كله.»

«أوغستاس.. أوغستاس..»

لقد رأت طبعات لرسومه الحية لبعض الجزر. مناظر طبيعية زاهية الألوان ذات أسلوب مميز ألحق عليه الخبراء صفةالبدائية. وإستوقف نظرها إسم ريتشى ايضا، لكن هذا هو كل ما حدث. لم تكن

لتتخيل أن أباها هو الذى رسمها.

«بالطبع، اسمه جون لكن اسمه الآخر أوغستاس.»

تنهدت إلين، كان وجهها ترتسم عليه الطيبة وهى تتحرك فى المطبخ لتضع الطبق أمام جين.

«لديك الكثير لتعرفيه عن أبيك، أليس كذلك؟ إنه سعيد بمجيئك، يمكننى أن أرى ذلك وقد سررت لذلك أنا أيضا.»

«أشكرك يا إلين.»

إبتسمت جين قائلة، وهى تحس بعاطفة مفاجئة نحو هذه المرأة:

«أنا لا أشعر بالنعاس. هل استطيع ان أخرج لأتمشى فى الحديقة؟»

«بالطبع. يا حلوتى، لا لصوص هنا فى سارامانكا. ولكن هل أنت متأكدة من انك ستخرجين فى هذا الوقت المتأخر.»

«متأكدة طبعا. وإلا فلن أستطيع النوم.»

سأحضر لك مصباحا، فوالدك لن يسامحنى اذا تعثرت وأصبت. عدينى ألا تبتعدى كثيرا عن المنزل؟»

«أعدك يا لين. أريد فقط بعض الهواء النقى.»

«إذن أصعدى حالا وارتدى معطفا فوق قميص النوم. فالجو باردا فى الخارج سأحضر لك المشعل.»

ركضت جين سعيدة الى الطابق الاعلى. فكرت أن تسير عبر ذلك الممر لتصل الى الطريق ثم تعود. ان ذلك سيساعدها فى تخفيف وقع

www.elromancia.com

الأنباء المتراكمة عليها.

انبعث صوت الحصى تحت قدميها ولفتها رائحة أزهار طيبة. كان الجو باردا، وشعرت بالسعادة لأنها تدثرت بالمعطف. ممسكه بالمشعل. وقفت قليلا فى الظلال السوداء بعيدا عن المنزل حتى تعتاد عيناها على الظلام.

كان الليل هادئا والسماء مرصعة بالنجوم تتلألأ على مدى أبعاد لانهائية. كان الاشعاع الخافت المنبعث من القمر يعطيها ضوءا كافيا لترى طريقها.

تنفست جين فى عمق وأحست بسعادة مطلقة تجتاحها، لم يكن هناك خطأ فى تصرفها. قطعت آلاف الاميال لتصل الى هنا واختفت تماما كل المخاوف والآلام. إن والدها سعيد بها، وهذا هو كل ما يهم.

سارت ببطء وحرص، وكأنها تخشى أن تخدش السكينة المسيطرة، ثم ما لبثت أن سمعت نباحا رهيبا وصوتا يصرخ:

«كارلو، قف مكانك.»

خمد الكلب وهو يئن أنينا خافتا ورقد تحت قدمى جبين، أخذت تبحث عن زر المشعل ثم أضاءته لتجد غافن غرانت يتقدم نحوها فى خطى سريعة.

٢ ـ الصراع الخفى

هل ارعبك الكلب؟ لا تخافى فهو لن يؤذيك.

كان قلب جين يخفق بسرعة مضطربا وهى تواجه الرجل الضخم الذى كرهته من النظرة الاولى:

«هل يقفز هكذا دائما فى وجه الناس؟»

«لا، انه لا يفعل ذلك. لكنه أيضا لم يتعود أى شخص فى هذه الساعة المتأخرة من الليل.»

كان صوته هادئا، وكان يمكن أن تجده جذابا ولكن بسبب ما حدث، أحست جين بكيانها كله ينفر من الرجل.

قالت وقد استدارت عائدة الى منزل أبيها.

«على أن استأذنك قبل أن أتمشى فى الليل ثانية.»

«أتقطنين هنا؟»

«نعم، طابت ليلتك.»

«إذا، أنت ابنة جون؟»

www.elromancia.com

استدارت نحوه. وقالت:

«نعم أنا ابنته.»

كانت جين ترتجف لكنها كانت واثقة أنها اذا استمرت تتحدث الى الرجل فانها ستقول شيئا تأسف عليه. كانت تعرف تماما أنها لم تلتق من قبل بشخص يستطيع أن يثير فيها مشاعر الغضب مثل هذا. راعها بل أفزعها أن تكشف أنها وهى هادئة المتسامحة، قادرة على الاحساس بمثل تلك الكراهية.

«أنا غافن غرانت، جار أبيك يا آنسة ريتشى. آمل أن نلتقى ثانية فى مناسبات أفضل من هذه. هل آخذك الى المنزل؟»

استدارت جين وسارت فى اتجاه باب المنزل. وخيل اليها أنها سمعت صدى هازئا لكلماته. لقد كان هناك شئ آخر فى صوته غير ذلك الاحساس بالدهشة - كان هناك خيط دقيق من الاحتقار. وأحست جين وكأن وجهها يشتعل وسط الظلام البارد. إذ كيف يجرؤ أن يتحدث اليها هكذا؟

استغرقت جين فى النوم حتى ساعة متأخرة من النهار. نهضت ونزلت مسرعة الى الطابق الاسفل يخامرها شعور بالذنب لتأخرها متلهفة فى الوقت نفسه الى لقاء أبيها. وعندما اقتربت من غرفة الجلوس الفسيحة توقفت عند سماع أصوات فى الداخل. ان لديه زوارا. أصلحت جين من شعرها. كانت ترتدى ثوبا بسيطا حاكته بنفسها من القطن الأزرق. وقفت جين أمام الباب فى توتر ثم طرقته ودلفت الى الداخل.

استقبلها أبوها بذراعين ممدودتين قائلا:

«جين يا عزيزتى، اطلعت على تفاصيل مغامرتك.»

لم يكن الرجل الواقف أمام المقعد المواجه لأبيها سوى غافن غرانت.

«طاب صباحك يا آنسة جين.»

التفتت جين تجاهه وظلت ممسكة بيدى والدها. «طاب صباحك يا سيد غرانت.»

كانت تلك هى المرة الأولى التى تراه فيها بوضوح، كان وجهه صارما وذقنه مربعة متجهة بعمق الى الأسفل. شعره الداكن الأملس الذى كان يعلو جبهته بتنسيق جيد كان أطول قليلا من المعتاد. أما فمه فكان واسعا فيه لمسة قسوة. مد لها يده محييا وأحست بقبضته القوية حدثتها غريزتها بأنه رجل قوى خطير وأن هناك كراهية مقنعة من جانبه تجاها تثير قلقها وحيرتها فى آن.

قال أبوها:

«لندع الرسميات جانبا. أليست جميلة يا غافن؟»

أحنى غافن غرانت رأسه قليلا بقدر من الافتعال:

«بالطبع جئت لأعتذار عما حدث بالأمس، يا جين.»

جلست جين تستمع الى حديث الرجلين وهى تشعر بأنها تريد مغادرة المكان لقد سيطر غافن على الجو حيث كانت تشعر بعينيه مثبتتين عليها وأحست بغصة: كان فى الثلاثينات من عمره، ذا مظهر

www.elromancia.com

قوى يوحى بأنه رياضى الجسم.

وبعد جهد تمكنت جين من أن تقول، منتهزة فرصة من الصمت:

«سأذهب لأتناول فطورى فاسمحا لى.»

وقفت واتجهت صوب الباب، فتحرك غافن ليفتح لها الباب.

«شكرا.»

تبادلا النظرات. كان هناك ذلك الاحساس العدائى، وبرغم أنه كان مقنعا بصورة بارعة الا أنه كان واضحت تماما لجين وتضايقت. لماذا يبدو كريها ومستبدا. ليس لديها اى مبرر لذلك. اتجهت ناحية المطبخ وهى تشعر بالقلق لتطور الأحداث.

يبدو أنها نسيت كل شئ الآن وهى تسير ببطء مع أبيها فى الحدائق الشاسعة المحيطة بالفيلا وسمعت هدير البحر، فاستدارت نحو ابيها وقالت:

«لم أعلم أننا قريبون من البحر الى هذا الحد.»

«للأسف أننا لا نراه من المنزل، ولكن ليس فى وسع المرء أن يمتلك كل شئ. ان غافن يقيم أحيانا حفلات على شاطئ البحر. أريد أن ادلى بعض الملاحظات فى هذا الصدد.»

«لا توجها الى أرجوك، فليس لى شأن بهذه الأمور.»

«هل أفهم من ذلك ان هناك بعض الفتور بينكما.»

«أنا آسفة يا أبى. لم أقصد ذلك.»

«لا تكونى عصبية الى هذا الحد. فقد كنت أهزل معك فقط، أنا

أعرف تماما أنه مستبد الى حد ما. لكنك ستجدينه شخصا رائعا عندما تزداد معرفتك به.»

كان واضحا أن والدها معجب بغافن غرانت فهو جاره وصديقه أيضا. أما هى التى وصلت بالأمس فهى مجرد ضيفة جديدة. كيف يمكنها أن تتجرأ وتقول انها تجده متكبرا للغاية وانها لن تنسى أبدا تصرفه فى المطار.

ابتسمت وقالت:

«أنا واثقة من أنه يبدو لطيفا للغاية. كنت بلهاء. أرجوك دعنا ننسى ذلك. أريد أن أعرف الكثير عنك. لماذا لم تشر الى فنك ولوحاتك فى رسائلك الى؟»

تنهد جون وقال:

«روت لى إلين ما دار من حديثت بينكما أمس. أنا لم أشر الى ذلك لأنى أردتك أن تحضرى لرؤية والدك، وليس لرؤية رسام سخيف.»

«كنت سأحضر فى كل الاحوال.»

جلس جون وجين فى أريكة تحت ظل نخلة طويلة، صدر حفيفا كان الهواء مثقلا برائحة نبات الياسمين. كل شئ فيه لمسة جمال رائعة فأحست جين باراحة وقالت:

«ما تخيلت أن يكون كل شئ رائعا هنا...»

وفجأة غيرت مجرى الحديث وقالت:

«لم أكتشف انك كنت تراسلنى إلا منذ شهر فقط.»

www.elromancia.com

«كنت أعـرف أن دورثى تكرهنى لكنى لم أكن اتصـور أبدا أنهـا حقودة الى هذا الحد. وعندما كتبت الى.»

«هل كتبت اليك؟»

«نعم! لا تقولى أن ذلك كان دون علمك.»

«متى كان ذلك فأنا لا اعلم شيئا بالمرة عن ذلك.؟»

«منذ حوالى عامين عندما استقر بى المقام هنا. كتبت لتطالبنى بأن أكف عن ازعاجك وانك لا تريدين سماع أى شئ يتعلق بى واننى اضيع وقتى هباء فى الكتابة اليك.»

ارتعشت شفتا جين وهى تقول:

«لا... لكنك واصلت الكتابة بعد ذلك؟»

«لم يكن أمامى حل آخر. فكرت أنك فى يوم ما ستسامحين انسان عجوز.»

قالت والدموع فى عينيها:

«لا تقل ذلك أرجوك. أنا لا أفهم يا أبى لماذا كانت تفعل ذلك، وربما لن أفهم أبدا. ولكنى أقسم أننى كنت سأكتب ولو وصلتنى رسالة واحدة منك.»

«أعلم ذلك الآن يا حبيبتى. دعينى أقول لك شيئا آخر قبل أن ننهى هذا الموضوع. عندما تركت امك، كان ذلك لأنها طلبت منى أن أرحل، لقد أحببتها لكنى أدرك الآن بعد ما فكرت فى الأمر طوال تلك السنوات أن دورثى هى التى أثارتها ضدى. انها بشكل ما المتسببة فى

انفصالنا وأنا أعلم الآن لماذا فعلت ذلك؟»

تساءلت جين ببطء:

«هل كانت أمى تحبك؟»

«نعم، كانت تحبنى. التقينا منذ عشرين سنة فى سانت ايف أثناء العطلة الصيفية. كنت فى الخامسة والثلاثين من عمرى وكنت فقيرا أحاول أن أمارس هواية الرسم لكنى لم أكن قد حققت شيئا بعد. ثم التقيت بأمك وشقيقتها. كانت دورثى فى الثلاثين من عمرها وكانت والدتك تصغرها بخمس سنوات. تعارفنا وأخذنا نتبادل أطراف الحديث. كانت دورثى هى الأخت المسيطرة. أما لوسى والدتك فقط شدتنى كثيرا. خرجنا معا عدة مرات، أحيانا مع دورثى، وأحيانا أخرى بدونها اذا تمكنا من ذلك. تصورت أنه من الطبيعى أن أرغب فيها لأنها الأقرب لى سنا. وعندما طلبت من والدتك أن تتزوجنى كنت صريحا معها. قلت لها انى سأبحث عن عمل لكن الرسم هو طموحى الكبير وتفهمت أمك ذلك بعكس دورثى.»

استطرد محدقا أمامه فى لا شئ وكأنه يعيش الماضى من جديد:

«كان منزل الأسرة كبيرا يكفى لعدة أسر، والأختان كانتا تقطنان فيه وحدهما منذ وفاة جدك. فكان من الطبيعى أن نعيش أنا ولوسى فى المنزل نفسه بعد زواجنا. فى بادئ الأمر عشت فى سعادة مع لوسى.»

توقف عن الكلام وقد عاشت فى عينيه نظرة ألم، ثم قال:

«بدأت دورثى فى اثارة المشاكل. كانت لوسى تنتظر مولودها الأول

- وربما أثار هذا غيرة دورثى لأنها أدركت أن فرص زواجها تقل مع مرور السنين. بعد مولدك تحسن الوضع قليلا، فقد شغلت لوسى بك. وعندما كبرت وقعت أمك أكثر فأكثر تحت تأثير دورثى. فقد كنت خارج المنزل معظم الوقت حيث كنت أعمل كرسام فى أحدى شركات الاعلان. ولم يكن أمامى الا أن أمارس هواية الرسم أثناء عطلتى الاسبوعية. وهكذا كان لدى دورثى كل الوقت لتسيطر على والدتك، نجحت فى ذلك. فى بادئ الأمر كانت تستثيرها بتوافه الأمور: لماذا يعمل حتى وقت متأخر فى المكتب، جميعهم يقولون هذا، أليس كذلك؟ ثم بدأت تقول لها انه يفكر فى عمله أكثر مما يفكر فيك - وهكذا باتت لوسى تشكك فى تصرفاتى. وعندما كنت فى السادسة من عمرك، دب شجار عنيف بيننا فى أحد الأيام ووصل الى سمعك. ووجدتنى محطما وأنا أرى وجهك لأنى كنت أعرف تماما تأثير ما يحدث. طلبت من لوسى أن نرحل لنعيش فى منزل مستقل لكنها طلبت منى أن أرحل بمفردى.

واستطردت بصوت حزين:

«وهكذا رحلت.»

طوقته جين بذراعيها قائلة:

«كفى يا أبى.»

سارا فى بطء عائدين الى المنزل. كانت جين تعرف أن الافصاح عن الحقيقة نفعه وأكسبه راحة البال.

فى أمسية ذلك اليوم اطلعها جون على سيارته التى ظلت دون

استخدام طوال ستة أشهر.

وبادرها متسائلا:

«هل تعرفين قيادة السيارة يا جين؟»

هزت رأسها نفيا.

«أتحبين أن تتعلمى؟»

«لا أدرى، أعتقد ذلك، لكنى لم أحاول.»

«سأطلب من غافن أن يعلمك.»

وعندما لاحظ غضبها قال:

«آه لا؟ آسف هناك ميغان أوابنها كولن أنا واثق أنه سيسعد بذلك.»

فى تلك الأمسية، وبعد أن تناولا العشاء، جلست جين مع والدها يتجاذبان أطراف الحديث. بادرها جون:

«اذهبى واحضرى الغيتار وعدتنى بأن تعزفى لى.»

أحضرت الغيتار وجلست القرفصاء على أرض الحجرة. داعبت أوتار الغيتار بطكريقة مرتجلة لعدة دقائق ثم بدأت إحدى أغنياتها المفضلة. بدأت تغنى دون خجل بعد أن التقطت نغمات ذلك اللحن الحزين.

لم تكن تدرك كم كان منظرها فاتنا وهى تجلس على أرض الحجرة وقد استرسل شعرها الأسود الداكن فى تحرر، نسيت نفسها فى عالم تحبه، عالم الألحان. أخذ والدها يرقبها مأخوذا هو يستمع الى صوتها الحلو الواضح النقى والى النغمات التى تتناثر فى جنح الليل.

www.elromancia.com

وفجأة جاء صوت من ناحية النافذة ودخل غافن غرانت الغرفة وقد ثبت عينيه على جين قال بصوت هادئ:

«كان هذا رائعا.»

وقفزت وقد استعادت وعيها فجأة. استدار جون قائلا:

«غافن..؟ منذ متى وأنت هنا؟»

«كنت على وشك أن أطرق الباب حين سمعت الغيتار. تصورت للوهلة الأولى أنك أنت الذى تعزف، ولذا فقد اتجهت الى الواجهة الخلفية لأستمع فى صمت.»

واستدار نحو جين قائلا:

«أهنئك يا عزيزتى فأنت تعزفين جيدا.»

«اشكرك.»

ونظرت اليه لتحاول ايجاد أى أثر للسخرية فى نبراته ولكنه وبدا صادقا.

«انى أحمل دعوة يا جون من سارة ووالدتها.»

رفع جون حاجبيه فى دهشة فضحك غافن وقال:

«ستقيمان حفلة يوم السبت وتتمنيان لو انك تحضر مع جين.»

نظر جون الى ابنته متسائلا:

«ما رأيك يا ابنتى؟»

تذكرت جين فجأة كلمات ميغان أمس عن حرص ليونى و سارة

على رؤيتها خاصة وأن سارة التى تسعى وراء غافن لا ترغب فى أية منافسة. أخفت جين ابتسامتها وهى تقول لنفسها إن هذا الأمر مسل. ليتهما تعلمان أنها لا تشكل عليهما أى خطر. فالكراهية متبادلة برغم أنه بدا ظريفا عندما امتدح عزفها على الغيتار.

رفعت جين رأسها عن الغيتار قائلة:

«أن هذا يبدو جميلا للغاية.»

التفت غافن اليها. ترى هل استطاع أن يقرأ أفكارها؟ ان لديه نظرة رمادية ذكية ثاقبة. وأدركت جين فجأة أن عينيه جذابتان للغاية قال:

«سأبلغهما بموافقتكما على الذهاب وستذهبان فى سيارتى.»

أحضرت جين العصائر ثم جلست. رفع غافن حاجبه متسائلا:

«ألا تشربين العصير معنا؟»

«لا شكرا.»

فى تلك اللحظة دخلت إلين الحجرة قائلة:

«جاءت السيدة ديفز يا سيد ريتشى.»

دخلت ميغان، ومعها شاب طويل وسيم أشقر لا يمكن أن يكون إلا إبنها نظرا للتشابه الكبير بينهما.

قامت ميغان بمهمة التعارف بينهما، احتفظ كولن المبتسم بيد جين لفترة أطول من اللازم قائلا:

«مرحبا يا جين.»

www.liromance.com

«أهلا بك يا كولن.»

أحست بتورد وجنتيها خجلا. ترك كولن يدها على مضض واستدار نحو غافن الذى أحست جين أنه كان يراقبهما وقد علت شفتيه بسمة ساخرة.»

«مساء الخير يا غافن، لم أرك من قبل.»

«لاحظت ذلك.»

كانت نبرة غافن جافة أحست بالدماء تصعد الى وجهها. كيف يراقبها هكذا..؟ حدثت جين نفسها، مضيفة بذلك نقطة جديدة الى أخطاء ذلك الرجل. استطرد غافن:

«وفرتما على جهدا. فقد طلبت ليونى منى أن أدعوكما الى حفلتها يوم السبت.»

نظر كولن الى جين متسائلا:

«هل ستذهبين يا جين؟»

«نعم سأذهب.»

«أيوافقك هذا يا أمى؟»

ابتسمت ميغان للجميع قائلة:

«بالطبع . ستكون مناسبة طيبة للغاية.»

جلس الرجال الثلاثة معا وجلست ميغان وجين فى مقعدين متلاصقين وبذلك تمكنتا من تبادل أطراف الحديث دون أن يسمعها أحد. قالت ميغان بصوت منخفض:

«أتذكرين يا جين ما قلته لك؟»

«نعم أذكر.»

«هل لى أن أعطيك نصيحة؟»

«بكل تأكيد أرجوك.»

إستمعى جيدا. الذين سيحضرون الحفلة سيكونون غاية فى الفتنة والاناقة. وأنا واثقة من أنك ستستمتعين بتلك الأمسية ولكنها لن تكون مجرد حفل... انها ستكون جلسة تقييم ومقارنات وأنا آسفة أن أقول ذلك بصراحة ولكن دعينا نصعد الى حجرتك لانتقاء ما يمكن أن ترتديه فى تلك الحفلة.»

قالت الجملة الأخيرة بصوت مرتفع كمبرر لانفرادهما. وفى غرفة جين فى الطابق الأعلى جلست على حافة السرير قائلة:

«آه هكذا أفضل.»

بدأت تضحك بصوت رقيق ثم نظرت الى جين وهى مستغرقة فى التفكير ثم قالت:

«أعتقد أننا سننسجم معا.»

«تتحدثين بشكل يوحى بأنك ما كنت تتوقعين ذلك.»

عكست نبرة جين حيرتها . فهناك شئ لم تفهمه فى قول ميغان. هزت ميغان رأسها وقد شعرت ببعض الحرج:

«أنا آسفة، لقد أوقفتنى عند حدى.»

استطردت جين بلهفة:

www.elromancia.com

«لا تعتذرى، فانت على حق. سأقول لك شيئا الآن.»

«أنا دائما أعترف بخطأى وقد ارتكبت خطأ فى حقك دون قصد؟»

انتظرت جين فى صمت. فقد أدركت أن كلماتها العفوية فجرت شيئا سيفسر لها ما كان يحيرها إزاء عدة أشياء.

أغلقت ميغان عينيها ثم استطردت:

«عندما أبلغنا أبوك أنك ستأتين بعد كل تلك السنوات اعتقدنا كلنا انك جئت من أجل أن...»

ترددت قليلا فاستحثتها جين:

«استمرى ارجوك.»

«ظننا أنك جئت فقط بعد أن عرفت أن أباك رجل ثرى ولذلك فقد اتيت لتستمتعى بثروته. والآن بعد أن مرض وتوقف عن الرسم الأمر الذى زاد بصورة تلقائية من قيمة لوحاته، قررت الحضور. ولذلك استغربت كثيرا عندما تملكتك الدهشة لدى رؤيتك منزل أبيك. عرفت من وجهك أنك كنت صادقة وحين ذاك بدأت أفكر فى أننا كنا على خطأ.»

أنصتت جين فى صمت، كان هناك شئ آخر يجب أن تعرفه فأردفت:

«ميغان لقد استخدمت عبارة كنا فمن انتم؟»

«كلنا يعنى أنا وغافن»

«اذن هذا هو السبب!»

«السبب فى ماذا؟»

استدارت جين وقالت:

«عندما التقيت غافن، بدا وكأنه يكرهنى. لم أعرف لماذا يحمل لى هذا الشعور وتصورت أنه كذلك مع الجميع ولكنى الآن فهمت. يظننى أسعى وراء المال.»

وبدأت جين تروى القصة كلها وكيف اكتشفت وجود أبيها مصادفة وقول خالتها دورثى ان أباها يسكن فى كوخ على الشاطئ:

عندما أنتهت جين قصتها ساد صمت مطبق، وأخيرا قالت ميغان:

«يا طفلتى الصغيرة المسكينة، ماذا استطيع أن أقول؟»

«لا تقولى شيئا. اردت أن تعرفى كل شئ كى لا تخطئى فى حكمك على.»

«أوه يا عزيزتى عندما أخبر غافن بالحقيقة فانه...»

قاطعتها جين:

«لا. لا أريدك أن تخبريه.»

«لكن لماذا؟»

«لأنى أحتقره. أنه يتصور أنى جئت من أجل المال. اذن دعيه يستمر فى هذا التصور. أنا لا أهتم برأيه. فهو متعجرف مستبد - وأنا لا أظن أنى كرهت شخصا قدر كرهى له فى حياتى. أنا أعرف أنه صديق أبى ولهذا السبب فقط سأحاول أن أكون مهذبة معه. عشت ست سنوات مع خالة تشبهه الى حد كبير وتحملتها طوال ست سنوات وفى وسعى

www.elromancia.com

أن أتحمل ذلك الرجل. فإذا لم يتعلم كيف يحكم على الناس بما يتفق مع حقيقتهم وليس كما يظن هو، فانه بالنسبة الى شخص لا يستحق المعرفة.»

تبادلت المرأتان النظرات. كان فى عينى جين تحد شجاع لم يكن فى مقدور ميغان الا أن تعجب به. ابتسمت قائلة وهى تتلفت فى أرجاء الغرفة:

«جئنا أصلا لنتحدث عن الحفل.»

ضحكت جين قائلة:

«ان هذا سيبدو الآن مصطنعا. ألم تكونى تنوين تحذيرى من أن سارة تعتبرنى منافسة لها. ان هذا لا يمكن أن ينطبق على بعد كل ما قلناه.»

«ليس هذا هو كل ما أود أن أقوله. ان سارة برغم سحرها وجمالها ستحاول بخبث أن تجعلك تبدين كالبلهاء. وهى ستستخدم لذلك اسلوبين: إما إنها ستتصل بك تليفونيا قبل الحفل وتطلب منك ألا ترتدى أى شئ نفيس مؤكدة أن أى ثوب بسيط يكفى، او أنها لن تحذرك على الاطلاق وفى تلك الحالة ستذهبين وقد ارتديت أفضل ما عندك فى حين أن باقى المدعوات ترتدين ثيابا صباحية بسيطة فتجين نفسك فى حرج.»

«يا للعجب، كم هم أناس ظرفاء...»

ابتسمت ميغان قائلة:

«لقج فعلت ذلك من قبل، ولكن فى هذه المرة لن تكونى وحدك،

سأقف الى جانبك. الديك ثوب ظريف لترتديه؟»

«ليس تماما، فخالتى دورثى لم يكن بوسعها أن توفر لى شيئا ممتازا، ومن جانبى فقد أنهيت منذ قليل دراستى المتوسطة.»

أعتقد أننا يجب التشاور مع والدك. فهناك محل تجارى كبير فى بورت باتريك هو ملك لغافن بالطبع ويمكننا أن نجد فيه الكثير. ان غافن يملك المحل التجارى الكبير والوحيد فى سارامنكا وبالمناسبة هو يملك أيضا الفندقين الوحيدين فيها. فوالده هو فى الواقع الذى سارامنكا على خريطة العالم. وهذا هو السبب الذى يجعل سارة تحاول اجتذابه. دعينى اسألك هل ستحاولين تلقين غافن درسا؟»

«لا، بحق السماء.»

«حسنا. فانا كنت سأحذرك من ذلك. فهو عنيد للغاية وفى وسعه أن يكون قاسيا.»

ولكن هل كانت صادقة فيما قالته لميغان؟ لم تكن جين تعرف بالضبط كيف ستتصرف ازاء غافن. وشعرت بما يشبه الدوار وهى متجهة الى غرفتها تزدحم فى رأسها الآف الأفكار.

٣- الغضب الهادر

وفى اليـــوم التـــالى. ابلغت إلن جين ان هناك من يريدها على التليفون ولما التقطت السماعة سمعت سارة تقول:

«أهلا بك يا جين، أنا وأمى نشكرك لقبولك دعوتنا ونتشوق الى رؤيتك، فالحياة هنا يشوبها الملل لذا فمن الممتع أن نرى وجها جديدا. اتصلت بك أيضا لأبلغك ألا تشغلى نفسك بما سترتدينه غدا. فالحفلة غير رسمية. ألا تظنين أن هذا سيكون أفضل؟»

وفكرت جين بتحذير ميغان. لم تصدق أن الخداع يصل بالبشر الى هذا الحد. ربما تكون سارة، مناسبة جدا لغافن. فهما من نوع واحد.

أنهت جين المكالمة وهى شاردة الذهن ثم بادرت بالاتصال بميغان واطلعتها على اتصال سارة.

تذكرت جين شيئا وهى تنتظر وصول ميغان. لقد قام غافن بابلاغ تلك الدعوة مساء أمس، فهل اتصل تليفونيا بسارة لابلاغها أم أنه ذهب بنفسه لرؤية سارة. لم يكن الأمر مهما. وبرغم ذلك وجدت جين نفسها تفكر فيه.

بعد نصف ساعة فقط كانت جين وميجغان تعبران طريق فسيح يؤدى الى الطرف الآخر من الجزيرة. كانت ميغان تبدو نضرة جذابة وهى ترتدى سترة لبيضاء فوق بنطلون أزرق بينما شدت شعرها الى الخلف بوشاح من القماش الخفيف. أما جين فقد ارتدت ثوبا تقليديا من الترلين الأزرق الذى كان خفيفا بالنسبة لجو انكلترا، أما هنا فهو يشيع الدفء بدرجة غير مريحة تحت حرارة شمس الصباح. لاحظت كيغان ذلك فقالت:

«الأقمشة الصناعية لا تلائم جو سارامنكا، القطن أفضل. وقد أعطانا والدك حرية التصرف ولذا سنشترى ما يلزم لهذا الطقس الحار.»

«أنا أشعر بالذنب لأنى أنفق من حسابه الخاص. سأحرص على ألا أنفق كثيرا.»

«قال لى لى أن نشترى كل ما تطلبين. إنه سعيد بذلك، صدقيه يا جين.»

وأحست جين بدفقة من السعادة لم يكن حتى التفكير فى غافن قادرا على افسادها. أنهما ذاهبتان الى المحل الذى يملكه، لكن ميغان أكدت انه لا يوجد احتمال فى لقائه. أضافت ميغان وكأنها تذكرت شيئا:

«كولن قال لى انه سيحاول ان يلقانا فى المطعم الملحق بالمحل لنتناول القهوة. إنه منبهر بك الم تلاحظى ذلك؟»

«بماذا أجيب كى لا أبدو مغرورة؟»

www.elromancia.com

«لا تقولى سيئا يا عزيزتى. ولكن على ان أنبهك أن كولن يحب مغازلة الفتيات.»

«سأحاول أن أتذكر ذلك.»

وتساءلت جين: كيف سيكون موقف ميغان إن هى عرفت ان جين لم تصادق أى فتى حتى الآن. لقد أدت الخالة دورثى دورها جيدا وتمكنت من أن تغرس فى جين شكوكا جعلتها تفقد الثقة حتى فى نفسها. وهى الآن تشعر باحساس جديد بعدما عرفت أنها قادرة على أن تثير انتباه الرجال.

كان على جانبى الطريق اشجار النخيل التى قد لا يخلو مكان منها فى الجزيرة. ومن على بعد ترتفع الجبال بانسياب، زرقاء باهتة. أخذت جين نفسا عميقا وهى تهمس:

«هذا المكان رائع.»

«ولذلك فهو مكتظ بالسياح خاصة فى بورت باتريك. فكل أسبوعين ترسو سفينة فى الميناء وينزل ركابها الى الشاطئ وهم ينفقون أموالا كثيرة فى شراء الأعمال الخشبية المحفورة. ولكن بصفة عامة يسود الهدوء الجزيرة، وأنا أحبها هكذا كما أن غافن ينوى الحفاظ على هذا الطابع.»

حدثت جين نفسها قائلة - أوه هذا الرجل ثانية! أليس هناك مفر من ترديد اسمه فى كل وقت ومناسبة.!

اقتربتا من المدينة. فأصبحت المنازل أكثر التصاقا وأصغر حجما. وبدأت الحدائق تتراءى لهما غنية بالألوان مضيفة سحرا على المدينة.

بدت من على بعد المياه لامعة مندفعة فى خليج فسيح يطل على منحدر أوصلهما الى الطريق الرئيسى فى بورت باتريك، لتجدا منطقة ملأى بالمحلات التجارية وأناسا من كل شكل ولون ذاهبين لشراء حاجاتهم التفتت ميغان الى جين متسائلة:

«الى متى تنوين البقاء فى سارامانكا يا جين؟»

«كنت أنوى البقاء شهرا ولكن»

توقفت جين فجأة.

«هل طلب منك أبوك أن تبقى معه فترة أطول؟»

«نعم طلب منى ذلك.»

«وهل توافقين؟»

«بالطبع أريد ذلك، لكن...»

«ولكن لديك بعض الأسباب التى تدفعك للتردد. أهى خالتك؟ أم صديق لك فى انجلترا؟»

ضحكت جين قائلة:

«لا. ليس هناك صديق لكنى وعدت خالتى بأن أحاول أن أعوضها بعض ما أنفقته على.»

قاطعتها ميغان-وقد تورد وجهها ربما بفعل تهورها فى الكلام:

«أنت لست مدينة لها بشئ. أنا آسفة يا جين، ليس هذا من شأنى ولكن حقيقة...»

www.elromancia.com

ابتسمت جين وهى تقول:

«أنا أعلم. لكن كل ما فى الأمر أنها الآن امرأة وحيدة بائسة.»

«انتظرى لفترة معقولة ثم قررى.»

انحرفت بسيارتها فى طريق فرعى ثم أدخلتها موقفا للسيارات.

كانت هناك لافتة ضخمة كتب عليها بحروف حمراء محلات غرانت. كان الجو رطبا داخل المحل الذى يسوده جو من الهدوء والأناقة. كان الطابق الأرضى مخصصا للمأكولات حيث كانت الثلاجات الضخمة ملأى بكل ما يمكن تخيله من أنواع الطعام. اقتادت ميغان جين الى المصعد لتطلقا الى الطابق الثانى. هناك غاصت قدما جين فى سجادة حمراء سميكة.

انقضت الساعة التالية فى التطلع والبحث وتجربة الثياب. لم تكن جين تتصور أن شراء الملابس يمكن أن يكون ممتعا الى هذا الحد. فمع خالتها كان يتم ذلك وكأنه عمل روتينى يجب أن ينجز فى اسرع وقت. أما مع ميغان فالتجربة لذيذة، فيها شئ من الاستقرار النفسى.

وأخيرا وجدتا الثوب المنشود. كان بسيطا جدا، أو هكذا بدا. مجرد ثوب مسترسل حتى الأرضى فى خطوط ملساء دون أية زركشة، حريرى ذى لون نارى براق بلا أكمام أما فتحة الرقبة فقد كانت مستديرة منخفضة الصدر والظهر مطرزة بشريط حريرى بنى اللون على شكل أزهار صغيرة داكنة.

لم تكن جين فى حاجة الى رؤية وجه ميغان المذهول لتعرف أنها تبدو جميلة. قالت ميغان فى اعجاب:

«ما هذا يا جين، تبدين رائعة.»

«نعم يا امى انها تبدو كذلك.»

استدارت جين بسرعة لتجد كولن يخطو نحوهما. كانت عيناه تحدقان فيها وحدها وأحست بالدماء تتدفق الى وجهها.

«ماذا تفعل هنا كان من الواجب ان تكون فى العمل.»

«انها الحادية عشرة فترة الراحة. جئت ادعوكما الى تناول عصير منعش.»

«هلمى يا جين اذهبى واستبدلى ثيابك. سنجرب ما تبقى من الفساتين فى ما بعد.»

خلعت جين الثوب و قلبها يخفق بسرعة لم ترتد مثل هذا الثوب الرائع من قبل. شعرت بأنها شخص آخر أثناء الدقائق القليلة التى ارتدت فيها الثوب.

نظرت الى نفسها فى المرآة مكشرة عن وجه ساخر فى محاولة لاعادة نفسها الى حالتها الطبيعية وهى تهمس يا لك من فتاة مغرورة. وعندما جلسوا ليتناولوا قهوة مثلجة وقليلا من الكعك رأت ميغان تنظر اليها غير مرة على نحو يوحى بأنها تشاركها فى الحفاظ على سر ما.

تساءلت ميغان فى احدى فترات انقطاع الحديث:

«أين غافن الآن؟»

«ذهب الى أحد الفنادق ليحضر اجتماع عمل.»

«الأفضل ان تعود الى عملك، فلدينا أنا وجين كثير من العمل.»

«انها تحاول ان تتخلص منى.»

«إنك تجعلنى أبدو وكأننى دكتاتورة.»

قالت جين فى نفسها: من الواضح أن هناك رابطة حب قوية تجمع بينهما. تمنت فجأة أن تذهب معهما الى الحفل بدلا من غافن. الذى ينظر اليها بطريقة تخيفها. فرغم تأكيداتها لميغان انها لا تأبه فيه عندما فاجأها وهى تعزف على الغيتار، كان مقلقا بدوره. فهو رجل عميق شخصيته غامضة تمنت جين لو أنها لم تقابله.

أحست أن ميغان وكولن ينظران اليها فضحكت قائلة:

«آسفة لقد كنت أفكر فى ثوبى الجديد.»

ابتسم كولن وقال:

«لو كنت مكانك لفرحت فذلك الثوب البرتقالى سيفرض نفسه فى الحفل.»

«الثوب ليس برتقاليا يا عزيزى، لونه نارى غريب.»

«آسف يجب أن تعذرا جهل الرجال. والآن اسمحا لى بالذهاب. مرا على مكتبى قبل أن تغادرا المتجر لتتسلما المشتريات مغلفة.»

قالت ميغان وهما فى طريقما الى الطابق الاسفل من المحل:

«هل تسمحين لى بأن أصفف شعرك غدا؟»

نظرت نحوها جين مذهولة:

«ولكن - أنا»

«أرجوك يا جين. سأبوح لك بسر. لقد كنت أعمل قبل أن أتزوج مصففة للشعر. كنت أتمنى أن تكون لى ابنة أفعل لها كل هذا. أرجوك يا جين. قولى إنك موافقة.»

«سأكون غاية فى السعادة.»

تأبطت ميغان ذراع جين حتى وصلتا الى الباب عليه لافتة تقول خاص بموظفى المتجر.

دلفتا الى ممر فيه مجموعة من المكاتب ينبعث منها طنين آلات تكييف الهواء وأصوات الآلات الكاتبة.

دخلتا مكتبا فخما مكيفا لتجدا أن الشخص الجالس وراء المكتب لم يكن سوى غافن غرانت.

«ميغان وجين! هذا لقاء غير منتظر.»

«أهلا يا غافن، تصورت أن كولن هنا. جئنا نأخذ حاجيات جين فقد قال إنها ستكون جاهزة فى مكتبه.»

«آه فهمت. عدت منذ قليل وهو ذهب لمعالجة بعض الأمور المتعلقة بالمتجر. أعتقد أن هذا هو ما تبحثان عنه.»

رفع صندوقا ضخما وضعت فيه مشتريات جين تعلوها فاتورة حساب. رمقها بسرعة ثم قال:

«الفاتورة محولة على حساب جون الخاص. سأحمله الى السيارة.»

أحست جين وهى تمر من أمامه بعينيه تخترقانها وشعرت بحرارة فى عنقها. انه يظن بكل تأكيد أنها بدأن تنفق اموال أبيها. رفعت

www.elromancia.com

رأسها عاليا وهى تغادر المكتب. ان هذا سيعطيه مبررا جديدا ليشعر نحوها بمزيد من الكراهية.

وبفعل الحرارة والوهج الشديد أحست جين بوخز فى جفنيها ومرارة فى حلقها وبانبهار فى عينيها جعلها تضع نظارة واقية من الشمس.

قالت ميغان وهى تبحث عن مفاتيح سيارتها:

«شكرا يا غافن سنراك غدا عند سارة.»

«الى اللقاء.»

فتح باب السيارة لميغان فأسرعت جين الى الباب الثانى. وقد قررت ألا تنتظره حتى يفتح لها الباب بدونها، اذا كان ينوى ذلك.

تبادلوا التحية وانطلقت بهما السيارة. نظرت جين الى الوراء لتجد غافن يرقب السيارة ويعلو وجهه تعبير مبهم غامض، بادرتها ميغان قائلة:

«أعتقد أننى عرفت ماذا تقصدين بكلامك عن موقف غافن منك.»

«هل لاحظت ذلك أيضا؟»

«نعم كان فى وسعى أن أحس. يا للرجال كم هم أغبياء!»

«ليس هناك شك فى أنه فكر وهو يتفحص الفاتورة كيف أننى أسرعت الى انفاق أموال أبى.»

«أتمنى لو تركتنى أقول له الحقيقة.»

هزت جين رأسها قائلة:

«لا أرجوكى... دعيه يفكر كما يحلو له.»

كانت جين تزداد توترا كلما اقترب موعد الحفل. فرغم تأكيدات ميغان لها من أنها تبدو فاتنة فهى تعرف أنها تعوزها الثقة الكافية لتظهر أمام هذا الحشد من الناس وكأنها تقف أمام اللجنة الفاحصة فى الامتحانات.

كان ابوهاقد ذهب ليستريح فترة ما بعد الظهر. وعندما حضرت ميغان فى الخامسة لتصفيف شعر جين نزل لملاقاتها. كان يبدو شاحبا للغاية فصاحت جين:

«هل أنت بخير؟»

«سأكون على ما يرام فلا تقلقى. أنا أشعر فقط بالاجهاد اذهبا الآن وتكرا أنى أريد أن أرى الثوب لأعطى رأيى فيه.»

فى الطابق الأعلى، وبينما كانت جين تغسل شعرها الحريرى الطويل جلست ميغان فى استرخاء تتابعها. قالت جين:

«مم يشكو أبى بالتحديد؟»

«ان ماك لا يعرف. فبين حين وآخر تفاجئه تلك النوبات فيفقد القدرة على استخدان يديه لعدة ساعات. من الممكن أن يكون السبب بعض الاضطراب العصبى. وعليك أن تتمكنى من اقتناعه بعرض نفسه على أخصائى.»

«اتفقنا.»

جلست جين تجفف شعرها فى غرفة نومها وأثناء ذلك أخذت

www.elromancia.com

تتجاذب أطراف الحديث مع ميغان. امتد حديثهما ليشمل الحياة فى الجزيرة. فسكانها الأصليون يعملون فقط فى صيد الأسماك وزراعة الفاكهة وجوز الهند. هناك أيضا صناعة الاشرطة الحريرية المطرزة وهى صناعة مزدهرة. فاشرطة سارامنكا تتمتع بشعبية كبيرة بين السياح.

قالت ميغان وقد تذكرت شيئا:

«يجب أن تشترى بعض تلك الاشرطة المطرزة عندما نذهب الى بورت باتريك مرة ثانية سأساعدك فى استخدامها فى تطريز ثوب لك فهى رائعة الجمال وفى الواقع أنه لو كان لدينا وقت كاف لكنا استخدمناها فى حياكة ثوب لحفل اليوم. كان سيكون مدهشا، شرائط مطرزة بيضاء، فوق ثوب حريرى قرنفلى اللون.»

«فعلت ما فيه الكفاية بالفعل.»

«سندع ذلك للمرة القادمة.»

«والآن حدثينى عن سيئات الجزيرة، فهى لا يمكن أن تكون جنة. حتى لو بدت لى كذلك.»

«نتعرض الى عواصف عنيفة ومخيفة تخللها أمطار غزيرة وهو أمر مستغرب لجزيرة إستوائية ولكن هذا هو سبب الخضرة الزاهية. كما أننا أحيانا نتعرض لغزو من أسراب الذباب ولكن ذلك نادر جدا.»

تراجعت ميغان عدة خطوات لتتأمل شعر جين. نظرت جين الى صورتها فى المرآة وهى لا تكاد تصدق ما ترى. كان شعرها الذى ينساب باستقامة عادة على كتفيها مشدودا الى الوراء ثم الى أعلى وقد

ثبتته ميغان ببراعة بدبابيس لينساب بشكل شلال من الشعر الناعم اللامع المتموج ليغطى عنقها.

«هذا عظيم يا مغان، أنت حبيبتى رقيقة وحنونة حقا.»

طرقت إلن باب غرفة نومها وقالت:

«لو عرف أبوك أننى هنا لأطاح برأسى. ولكن يجب أن أقول لك فأبوك ليس فى حالة تسمح له بالخروج الليلة، هذه هى الحقيقة.»

استدارت جين فى فزع وقد نهضت من مقعدها:

«ماذا هناك يا إلن؟»

«لا تقلقى. ولكنه عندما يكون فى الحالة التى هو فيها الآن فالشئ الأمثل له هو أن ينام مبكرا ويأخذ قدرا وفرا من الراحة.»

«اذن يجب ألا نذهب الى الحفل؟»

«هذا هو الأمر الذى جئت أحدثك فيه. انه يعرف انك ستقولين هذا وهو عازم على ألا يفسد عليك سهرتك الأولى، ولذا سيرفض وسيبذل جهدا لاقناعك الأمر الذى سيزيده تعبا.»

أومأت جين برأسها وقد بدأت تدرك الغرض من مجئ إلن:

«اذن يجب أن أقول له أنى سأذهب الى الحفل بمفردى.»

توقفت بعد أن كانت قد اتجهت صوب الباب.

«لا لن أستطيع. كيف أذهب وأتركه يا إلن؟»

«اذا قلت له انك لن تذهبى الى الحفل، فانه سيسارع الى القول انه

www.elromancia.com

ليس مريضا وانه على ما يرام. انه رجل عنيد.»

هزت إلن رأسها فى أسى واستدارت خارجة من الغرفة وقد تدلت كتفاها فى يأس. أمسكت جين بذراعها قائلة:

«لقد هزمتنى. كل ما فى الأمر أننى لا اريده أن يظن أننى أردت أن أذهب بمفردى ولكن اذا كان هذا لمصلحته.»

«طبعا، ان ذلك لمصلحته بالفعل. والى جانب ذلك فانت ستذهبين مع السيد غافن وأبوك يثق فى انه سيعتنى بك.»

صاحت جين:

«لا لقد نسيت هذا.»

وعندما رأت إلن تقطب جبينها فى حيرة بادرت قائلة:

«أعنى أليس من الواجب أن نبلغه بهذه التطورات الجديدة؟»

«لا يا عزيزتى سيصل بعد لحظات وهو سيسعد بصحبتك.»

همست جين لنفسها: نعم أنا واثقة من أنه سيسعد بذلك.

أصبح الأمر الآن أكثر سوءا. أمامها الآن رحلة مرتقبة مع ذلك الرجل - هما الاثنان فقط وليس لديهما من حديث سوى أنانيتها فى ترك أبيها المريض وحده. عادت بتكاسل الى المرآة. تمنت لو لم تذهب، لكن ليس هناك خيار الآن. طالعها وجهها فى المرآة وهو أكثر شحوبا من المعتاد، وعيناها واسعتان تلمعان فى ضوء المصباح. نظرت لصورتها فى المرآة قائلة: استمرى، اشعرى بالشفقة على نفسك.

ومع تلك الكلمات القليلة الغريبة توصلت الى قرار. دلكت وجنتيها

لتعيد إليهما لونهما ونظرت بتحد الى نفسها. بكل عناية وحذر بدأت جين تضع المساحيق على وجهها دون ان تدرك انها ليست فى حاجة الى أى شئ من هذا.

تعثرت جين وهى تهبط درجات السلم، فثقتها الجديدة فى ذاتها، وليدة التحدى، تخلت عنها للحظات عندما سمعت أصواتا تنبعث من غرفة الجلوس. فضمت شفتيها ووقفت أمام الباب المغلق يمتلكها ذعر مفاجئ. لم تستطع أن تجتاز ذلك الموقف. ولكن عليها أن تفعل ذلك.

فتح الباب على مصراعيه فجأة قاطعا عليها أفكارها رفعت جين يدها الى صدرها وهى تلهث.

ظهر غافن وقد بدا مندهشا مثلها. ثم تراجع قائلا:

«أنا آسف.»

كان صوته رابط الجأش واثقا. نظرت إليه جين للحظات عاجزة عن النطق، لاحظت أنه كان يرتدى سترة بلون الظبى الصغير وقميصا ناصع البياض مبرزا لونه الأسمر الداكن. كان شعره ممشطا الى الوراء لامعا. أما عيناه الرماديتان فكانتا ترقبانها بفتور. أخذت جين نفسا عميقا ثم ابتلعت ريقها.

«شكرا.»

قالتها ومنحته بسمة صغيرة فاترة وهى تدخل الغرفة متجهة الى أبيها.

«قالت لى إلن إنك لست على ما يرام.»

www.elromancia.com

وضع يده المتعبة فوق ذراعها وجذبها اليه:

«صدقينى، اوامر إلن لا تعصى! هى التى قررت أننى لست فى حالة تسمح لى بالذهاب. أنت تعرف إلن يا غافن.»

هز غافن كتفيه وبقى لحظات ثم قال:

«هذه هى الحقيقة. فمن يعصاها يجب أن يكون أشجع منا نحن الاثنين.»

«فكرت بعدم الذهاب يا أبى عندما أبلغتنى إلن أنك»

«اذهبى يا جين. غافن سيرافقك ويرعاك. إستمتعى بوقتك.أنت تبدين رائعة الجمال وأنا فخور بك يا عزيزتى.»

«شكرا يا أبى.»

سارت جين نحو الباب كالعمياء لكنها كانت تعى أن غافن يقف فى انتظارها.

سارا نحو واجهة المنزل حيث كانت تقف سيارته المرسيدس البيضاء. فتح لها باب سيارته فى صمت. جلست إلى جواره وأحست بصدغيها تنبضان بفعل هذا التوتر المفاجئ وبعدما اقفل باب السيارة خطا نحو مقعد القيادة. وانطلقا.

٤- رجفة عابرة

قاد غافن سيارته برشاقة وسأل جين:

«هل تحبين الاستماع الى بعض الموسيقى؟»

«نعم ارجوك.»

فكرت أن ذلك عليها على الأقل حرج فترات الصمت فى حوارهما، بل لن يكون هناك حوار على الاطلاق.

كان قلبها يخفق. لم يكن خيالها الذى صور لها ذلك ولكنها أحست بالفعل، وكان توترا يغمرها بموجات تكاد تكون محسوسة. حدثت نفسها قائلة:

«أنه لا يطيقنى وانا عرفت ذلك فلماذا لا أتجاهل تلك الحقيقة. لم تكن لديها أسلحة مماثلة تقاتله بها عدا سلاح واحد، أنوثتها. ففى أعماقها كانت تعلم أنه برغم عجرفته كانت هى التى تملك المبادرة. فضعفها كان فى الواقع هو سب قوتها.

«متى تنتهى تلك الحفلات عادة يا غافن؟»

«تستمر طوال الليل أحيانا. ولكن تستطيعين العودة للبيت ساعة

www.elromancia.com

تشائين.»

كان صوته رقيقا يفتقر الى الحماس لكنها لاحظت أن يديه كانتا تضغطان على عجلة القيادة قليلا. انها تفضل أن تخلد الى النوم بعد منتصف الليل مباشرة. لكنها لن تطلب منه أن يعيدها الى المنزل تراءى لها وجهه وهى تطلب منه أن يعودا والحفلة فى أوج اشتعالها.

كانا يتجهان الآن صوب بورت باتريك لكن كل شئ بدا مختلفا الآن فى ظلمة الليل وكأنه تبدل بفعل سحر السماء السوداء المخملية، ليبدو كأرض العجائب المرصعة بالنجوم. تنهدت بعمق وقد أحست أنها وقعت بالفعل فى هوى تلك الجزيرة وسحرها الغامض. يا ليت كولن هو الجالس جوارها لكانت شعرت معه بالانسجام، تنعم بدفء اعجابه الصريح بدلا من شعورها الحالى بالذنب لأنها تضيع وقت هذا الرجل المضطر لمصاحبتها وتذكرت أن كولن وميغان سيكونان فى الحفل، مما جعلها ترتاح.

خفت حدة التوتر قليلا عندما نجحت جين فى الاسترخاء. ساعدتها الموسيقى على ذلك لأنها وفرت لها شيئا يمكن أن تركز عليه انتباهها. كانت كل حواسها مستيقظة مركزة على ذلك الرجل الجالس قربها يمس ذراعها مسا خفيفا كلما حرك جهاز السرعة. كانت قسماته كالصقر وهو يراقب الطريق أمامه، الأمر الذى شجعها على المخاطرة بإلقاء نظرة خاطفة عليه. مرت الأشجار والمنازل من جوارهما فى شكل ضباب رمادى اللون حين اقتربا من المدينة انعطف الى اليسار فى طريق ضيق مرتفع. كان القمر ساطعا وقد أغرق الجزيرة بنوره الخافت وتذكرت ليلتها الأولى فى سارامانكا عندما

قامت بتلك النزهة المشؤومة.

كانا وحدهما الآن تماما وسط تلك الظلمة وقد تركا المدينة وراءهما. كان الطريق ضيقا كشريط أبيض منبسط أمامهما. عن بعد كان ضوء القمر يلمع فوق مياه المحيط الداكنة.

خفف من سرعة السيارة ثم توقف تماما: لماذا فعل ذلك؟

جاءت ضحكته المقتضبة لتؤكد لها أنه قرأ أفكارها وقال:

«اعتقدت انك قد تريدين مغادرة السيارة لتلقى نظرة أكثرة وضوحا.»

«أشكرك.»

تبخرت قوة التحدى التى كانت لدى جين... استقامت فى مقعدها. حملقت فى السيارات الكثيرة المصطفة أمام المنزل. ثم انفتح باب البيت لتجد على عتبته فتاة طويلة فى هالة من الضوء الذهبى تصيح قائلة:

«عزيزى غافن. الآن نستطيع أن نبدأ الحفلة.»

أخذت جين ترقبها، بينما ساره تشب على قدميها لتعانق غافن مرحبة، رد عليها قائلا:

«مرحبا يا ساره، تبدين جميلة للغاية.»

أطلقت سارة ضحكة رنانة ثم مدت يدها ناحية جين وكأنها ق تذكرت وجود شخص آخر معه:

«أهلا، من المؤكد أنك جين. لطيف جدا منك أن تحضرى.»

نظرت اليها جين. أنها فتاة جميلة. كل شئ فيها كان يوحى بانها تعرف كيف تعنى بنفسها بدءا بشعرها الحريرى الأشقر حتى أصابع قدميها التى طلت من تحت ثوب أبيض بسيط يخطف البصر، ثاياه الشفافة تطفو مطوقة قدها النحيل. كانت عيناها واسعتين داكنتين ترقبان جين فى عملية تقيم خبيثة ماهرة.

«كم تبدين رائعة. تفضلى. أنا واثقة من أنك بحاجة الى قدر من الانتعاش بعد رحلة الطريق. ابحث عن مكان توقف فيه سيارتك يا حبيبى وسأعتنى أنا بجين.»

قالت له يا حبيبى. تساءلت جين عما إذا كانا كذلك بالفعل. إنها لن تدهش لذلك ، فقد حياها بحرارة. زائدة عن الحد.

اصطحبت ساره جين الى غرفة نوم ذات أثاث فخم وأشارت الى منضدة الزينة قائلة:

«تفضلى يا جن، اخدمى نفسك بنفسك.»

ابتسمت سارة فجأة ثم رمقتها بنظرة أخيرة وخرجت.

تهاوت جين على أقرب مقعد وهى ترتجف لفرط التوتر. اغلقت عينيها لحظة وأحست بأنها تريد أن تهرب وتختبئ. كان مسلك سارة وكل ما يحيط بها محسوبا بدرجة جعلت جين تشعر أنها صغيرة تافهة. أحست وكأنها تشترك فى مسابقة جمال. تفحصتها عينا سارة الجميلتان القاسيتان وكأنهما عينا حكم فى مسابقة هامة، يقيم ويضع الدرجات ثم يصرف النظر عنها. كانت جين ساذجة جدا عبثت انها لم تدرك مهارة سارة فى اخفاء مشاعرها الحقيقية وكيف أنها استشفت

بذكاء، حياء جين الفطرى الدفين وعرفت كيف تستغله لمصلحتها.

بيدين مرتعشتين وضعت جين أحمر شفاه، تنفست تنفسا عميقا ثم اتجهت نحو الباب واستمعت الى أصوات الثرثرة المنبعثة من الطابق الاسفل. قاومت إحساسها بالخوف ثم نزلت درجات السلم فى سكون وهى متشبثة بالدربزين الحديدى آملة فى أن تنسل الى الداخل وتبحث عن ميغان قبل أن يراها أحد.

جاء صوت سارة واضحا عاليا:

«أنظروا جميعا، هاهى جين.»

كانت سارة فى انتظارها. وبمجرد أن اقتربت من الغرفة، ساد صمت مفاجئ وتوقع الحديث والضحك تماما عندما أخذ الجميع يراقبونها وهى تسير مع سارة. كانت جين ترتجف ارتباكا لكنها فى تلك اللحظة رأت بين الحاضرين وجها متهكما تعلوه بسمة ساخرة، كان ذلك الوجه هو وجه غافن. تنفست بصعوبة، ثم أحست باصرار ينمو فى داخلها لمواجهة الموقف ابتسمت فجأة بينما كانت سارة تقول:

«أعرفكم بجين، ابنة جون أوغستاس ريتشى.»

وراحت جين تصافح رجالا ونساء وتحياتهم التقليدية التى انهالت عليها. اجتازت كل هذا بلا تردد بعد أن استعادت ثقتها بنفسها بسبب بسمة ساخرة على وجه رجل متعجرف ونجحت فى ألا تعطى أصدقاءه ذرة من الاهتمام.

بدأ الحديث يتصاعد من جديد تدريجيا وكان فى وسع جين الآن أن تلتقط أنفاسها بحرية واسترخاء اذ أحست بالضغط ينحسر من

www.elromancia.com

حولها بعد أن تحول اهتمام الحشد الى قادمين جدد. أما غافن فقد ذاب وسط الحشد.

فى تلك اللحظة وجدت جين نفسها قرب والدة سارة التى قالت لها:

«أنا واثقة من أنك فى حاجة الى هذا العصير المثلج يا جين. اشربى يا عزيزتى.»

«شكرا.»

«هل جئت أنت وغافن وحدكما؟ أنا آسفة لعدم حضور والدك. لكن من المؤكد أن غافن ظريف جدا أليس كذلك؟ أنه يشكل مع سارة ثنائيا رائعا»

«نعم بالتأكيد. واظن أنهما سيعلنان خطوبتهما قريبا.»

«لا تقولى شيئا من هذا. فالأمر مازال حتى الآن سرا.»

«لا لن أقول شيئا على الاطلاق.»

استأذنت السيدة سمايث لتجد جين نفسها تقف وحيدة تماما وسط بحر من الوجوه الضاحكة، منعزلة وكأنها تقف فى جزيرة مهجورة. ودون تفكير رفعت كوبها وابتلعت كل ما فيه دفعة واحدة.

ثم سمعت صوتا يقول:

«أنك رائعة فعلا.»

التفتت الى الوراء لتجد وجها بشوشا لرجل متوسط العمر. كان أصلع الرأس ذا أنف مدبب وعينين ساحرتين أهداب داكنة.

«أنت الدكتور ماكدونالد.»

«كيف عرف ذلك يا جين؟»

«قالت لى ميغان أنك ستكون فى الحفل كما أن لم يكن ممكنا أن تفوتنى تلك اللهجة المحببة. ولكن كيف عرفتنى أنت؟»

«أنت أيضا تطابقين ما سمعته من أوصافك، وقد رأيت سارة وهى تخصك بالترحاب اللائق. كنت أقف وراء تلك الزهرية عندما تسرد عليك تلك القصة المعادة عن سارة وغافن.»

«ماذا تعنى بالترحاب اللائق ؟»

رفع حاجبيه مندهشا:

«ألم تفهمى؟ قولى لى ماذا كان شعورك وهى تقودك صائحة أمام هذا الحشد بعد أن ادركت خجلك. دعينا نجلس بعيدا فى ركن هادئ. أريد أن أحدثك عن أبيك.»

وجدت جين نفسها تجلس إلى جوار الرجل الودود، وهكذا أصبحت الحفلة أكثر بهجة. أزدحمت الغرفة ومر الجرسون بالعصائر التى كانت تختفى قبل أن يتقدموا بضع خطوات. ظهر غافن فجأة وألقى نظرة عليهما ثم اختفى وقد ابتلعه الزحام. جلس ماك وجين يتحدثان غافلين عن كل هذا الى أن ظهرت ميغان، حيتهما بسرور وجلست قربهما قائلة:

«كنت أود أن أكون هنا ساعة وصولك يا جين. أين والدك؟»

«لم يستطع المجئ.»

www.elromancia.com

«اذن جئت أنت وغافن وحدكما؟»

«نعم.»

نظرت ميغان الى جين وبدت وكأنها كانت على وشك أن تقول سيئا ثم عدلت.

تحدث ماك عن طريقة استقبال سارة لجين فقالت ميغان لجين:

«لهذا كنت أود أن أكون هنا قبل وصولك لكننى واثقة أنك كنت رائعة وصل الى أسماعهم صوت موسيقى منبعث من مكان آخر من المنزل، ونغمات متنافرة واضحة فى محاولة لضبط أوتار الآلات الموسيقية. قالت ميغان:

«سيبدءون الرقص وصلات الآ، وبعدها يفتحون مائدة الطعام.»

تحولت الحفلة الى ميدان صاخب، كتلة دائرية من الألوان كالزجاج البراق، كتلة من الضجيج والمتعة، بعد أن احتست جين العصير وتولى كولن الذى وصل متأخرا رعايتها. اندفاعا نحو فناء خلفى واسع حيث كانت الفرقة الموسيقية تعزف. كان الفناء ممتدا نحو مروج خضراء حيث كان المدعوون يرقصون على النجيل المضاء بالأنوار وكذلك على أرض الفناء الحجرية وقد تناثرت فيها أصص النخيل وتوسطتها نافورة صغيرة تناثرت منها المياه على شكل جميل.

قال كولن لجين وهو يراقصها:

«انك تثيرين حقدهم يا جين.»

«دعك من هذه الدعابات.»

احمرت جين خجلا وتعثرت خطواتهم وقد ساءتهم مداعبته الساخرة. أمسكها بقوة ليحول دون تعثرها من جديد. وهمس قائلا:

«أنا لا أمزح يا عزيزتى. صدقينى. تبدين فائقة الجمال.»

كانت الموسيقى صاخبة تشيع حيوية. تعاقبت بعد ذلك عدة رقصات رأت فى احداها غافن وسارة يرقصان معا.

فجأة أحست جين بالدوار وقالت لكولن:

«أيمكننا أن نتوقف قليلا. لقد تعبت

جذبها الى الخارج قائلا:

«أنت فى حاجة الى هواء نقى يا عزيزتى.»

فى الهواء الطلق أحست جين برعشة البرد. قال لها بصوت عذب:

«أنت بخير الآن اليس كذلك؟»

أدارت نحوه وجها ضاحكا وهى تقول:

«نعم أعتقد ذلك.»

«س[illegible]ليبى الشريرة معك.»

ابتعد[illegible] تقول:

«شكرا [illegible]ذيرك إياى، والآن يجب ان نعود الى الحفل.»

أحست جين [illegible]در من التحسن عقب العشاء. أقبلت سارة نحوهم مبتسمة وهى [illegible] بأهدابها فى خجل ناظرة الى الرجلين وقالت:

«أرجو أن [illegible]وا جميعا مستمتعين بوقتكم.»

ثم مدت يدها وأراحتها على ذراع جين قائلة:

«سررت بمجيئك يا جين. أرجو أن تأتى الينا مرارا. ولعلنا نقضى يوما معا فى بورت باتريك.»

انسلت مبتعدة فتنهد ماك:

«يا للعجب، أنت تحظين بالحفاوة والتكريم. إن سارة لديها مبرراتها لذلك فهى تتودد إليك حتى تضمن سرقة صديقها.»

نظرت جين وميغان كل الى الأخرى وانفجرتا فى الضحك دون أن تقدما لماك تبريرا لمسلكهما هذا.

بدأت جين فى وقت متأخر من الحفل تشعر بالاجهاد، بل ربما المرض أيضا. كانت تجلس هى وميغان وحدهما فى ركن هادئ نسبيا، وتلفتت جين حولها فى يأس. كانت تحس بحبات العرق تنتشر فوق جبينها. همست قائلة:

«سأذهب الى الحمام.»

سألتها ميغان فى قلق:

«هل أنت بخير يا عزيزتى؟»

«نعم لكنى أحس بقدر من الاجهاد، فأنا لست معتادة على السهر، لن أغيب..»

«سآتى معك.»

«كلا لا تزعجى نفسك.»

لم يلاحظ أحد صعودها الى الطابق الاعلى. وفى الحمام، غسلت

وجهها ويديها، جلست ساكنة للحظات، ثم سارت عبر رواق غطته سجاجيد مترفة أخذت تتأرجح بشكل مخيف، كظهر مركب فى عاصفة. مرت جين بغرفة نوم مفتوحة، لترى سريرا نظيفا ورضخت لاغراء قوى، فدخلت بثباب، خلعت صندلها، ثم رقدت وهى تتنهد فى راحة.

افاقت على يد تهزها، وصوت آت من بعيد.

«جين هل أنت فى خير.»

فتحت عينيها لترى خيالا مرتعشا لرجل وقد وقع عليه الضوء الآتى من الباب المفتوح. أحست بالذعر، حاولت جاهدة أن تجلس لكنها شعرت بدوار، ثم استعادت اتزانها بالقدر الكافى فرأت كولن يقف فى جوارها.

«كولن يبدو أننى استغرقت فى النوم كم مضى من الوقن وأنا هنا؟»

«حوالى ربع ساعة فقط. كانت أمى قادمة تبحث عنك لكنى تطوعت للقيام بالمهمة. أتشعرين بأنك مريضة؟

تململت جين محاولة أن تجد وضعا أكثر راحة.

«لا تقلقى. هل تودين أن أصحبك الى المنزل؟ قاربت الساعة الثانية.»

اتسعت عينا جين وهى تقول:

«هل يمكنك ذلك..؟ من المفروض أن أذهب مع غافن. لكنى واثقة أنه يود أن يمكث حتى النهاية وأنا لست معتادة على الحفلات

www.elromancia.com

الصاخبة.»

«أسمعى، سأنزل لابلغ غافن بأنك ستأتين معى.»

توقف فجأة عن الكلام عندما سقط ظل شبح على أرض الغرفة المظلمة أعقبه دخول غافن نفسه. ساد الصمت للحظات بينما كان الأخير ينظر الى جين وكولن وقد خلا وجهه من أى تعبير. ثم قال «عفوا ما كنت اريد الدخول، لكن خيل إلى أنى سمعت شخصا يناديني.»

أحست جين بوجهها يشتعل وسط الظلمة التى رحمتها من عينيه. لم تنجح نبرته اللامبالية فى اخفاء الاحتقار الحاد الذى ظهر فى كلماته. أبعد كولن يده عن جين قائلا:

«كنت على وشك أن أنزل لأحث عنك يا غافن. قلت لجين أننى سأصحبها الى المنزل.»

«هل تودين أن تذهبى الآن يا جين؟»

«نعم.»

«اذن سأصحبك.»

«لكن»

بادرته جين معترضة حتى لا تضطره الى ترك الحفل قبل نهايتها.

كانت تعرف برغم الظلمة الخفيفة التى كانت تحيط وجه غافن، أن عينيه كانتا مركزتين عليها وهو يقول:

«أنا أحضرتك وأنا وعدت والدك بأن اعيدك الى المنزل.»

كانت تنتظر أن يعالج كولن الأمر بطريقته، أن يعيد كل شئ الى وضعه الطبيعى ولكنه لم يفعل بل هز كتفيه ونظر الى جين وكأنه يود أن يقول لا فائدة من الجدل ثم قال:

«اتفقنا يا غافن، فأنت الرئيس.»

ساد صمت مفاجئ ثم استدار غافن خارجا.

سمعا وقع قدميه وهو يبتعد فأطلق كولن زفرة ارتياح عميقة:

«انه طيب ومجنون فى آن.»

جلست جين وتشبثت به كمن يتشبث بطوق نجاة وقالت:

«لماذا، لم تصر على اصطحابى؟»

«لا مجال للنقاش مع غافن. صدقينى، فأنا أعرفه.»

التقطت جين حقيبتها وهبطت السلم مع كولن ثم مشت نحو الباب وهى تشعر وكأنها ذاهبة الى الجحيم.

www.elromancia.com

٥- الليلة الموعودة

لوحت جين لكولن، ثم استقلت السيارة. أحست وكأن الصلة الاخيرة بينها وبين المدينة انقطعت لحظة سمعت صوت انغلاق الباب الخارجى للمنزل. لم يكن فى وسعها أن تعبر عن مدى تعاستها عندما لاحظت غضبه البارد مثل الصقيع. جلست متصلبة فى مقعدها. كان تصورها بأنها ستقوم برحلة تستغرق ساعة كاملة مع ذلك الرجل المتجهم الوجه يخيفها. بدأ يقود سيارته مبتعدا عن المنزل الذى أخذت جين ترقبه وهو يتقهقر كلما انطلقا بسرعة نحو الظلام. قال وهو يشعل سيجارة:

«لو كنت مكانك لحاولت أن أسترخى. أمامنا رحلة طويلة.»

«كيف استرخى وأنا معك؟ انك تظهر تماما كم أنت متضايق من مهمتك أنا أشعر بذلك.»

وضعت يدها على جبهتها المتألمة، ضاغطة بقوة.

ضغط على الفرامل فوقفت السيارة بهدوء. استدار قائلا:

«حسنا ، أفصحى عما فى صدرك. ماذا تعنين بالضبط؟»

أشاحت جين بوجهها. لم يكن هناك ضوء أو صوت. كانا وحدهما فى صحراء شاسعة من الظلام، والان أدركت لماذا استسلم كولن بتلك السرعة. فالشخصية القوية التى يتمتع بها هذا الرجل خارقة. كان ينتظرها أن تتكلم وكأنه نمر متأهب للانقضاض.

لم يكن لديها أسلحة تحاربه بها، ولأنها كانت تعرف أنه ليس فى وسعها أن تفوز فى حرب كهذه فقد تشجعت وقالت:

«إن سلوكى ليس صبيانيا.»

«أنت تدهشيننى. أعطيتنى انطباعا قويا بذلك حتى الآن.»

قالت وهى تلهث:

«أنا لا أعرف لماذا توقفت أصلا. أنت انسان كريه.»

«لا تتمادى فى وقاحتك أكثر من هذا يا آنسة ريتشى، فقد نفذ صبرى.»

أشعل سيجارا آخر ببطء كانت الرائحة المعطرة للسيجار الذى أشعله أخيرا بمثابة الضربة الأخيرة. فقد دفعت جين الباب واندفعت خارجه تحتمى بالنخيل وهى تشعر بالاعياء.

كانت ترتجف وتهاوت قدماها. سمعت بشكل خافت مبهم صوت ارتطام باب سيارة. فكرت أنه على وشك أن يقود سيارته مبتعدا. كانت تشعر بقدر هائل من الاعياء حال دون اهتمامها بمايحدث، وتوقعت ان تسمع صوت المحرك لكنها بدلا من ذلك سمعت وقع أقدام ثم جاء صوته قائلا:

www.elromancia.com

«ماذا هناك.. هل أنت مريضة..؟»

تعثرت ثم استدارت . كانت تحس بقدميها تلتويان بينما كانت الأرض تتأرجح وترتعش فى اللحظة التالية وكان غافن يحملها بين ذراعيه متجها الى السيارة.

«أنزلنى، دعنى، أرجوك.»

دفع بها الى مقعدها وقال فى حزم!

«أجلسى مكانك.»

فى اللحظة التالية كان الى جوارها وقد أضاء النور الداخلى للسيارة. أعطاها منديلا وقال:

«امسكى هذا.»

مد يده الى الدرج الأمامى للسيارة وأخرج زجاجة. فتحها ونثر بعضا منه فوق المنديل فامتلأت السيارة برائحة منعشة نفاذة، ثم قال بلهجة حادة مريحة:

«والآن، امسحى وجهك فهو سيفيدك كثيرا.»

امتثلت جين ومسحت وجهها بيدين مرتعشتين فصدمتها البرودة الحادة لتعيدها الى حالتها الطبيعية.

«شكرا لك.»

تبدلت لهجة غافن، فصار هادئا. واختفت النغمة الغاضبة من نبرته. سألها وهو يرقبها:

«لماذا لم تقولى لى أنك تشعرين بالغثيان.»

نظرت الى وجهه وقد مال نحوها وقالت:

«كنت أظن أنك تعلم، فذلك كان سبب صعودى الى الطابق الأعلى للاستلقاء.»

«ومن أين لى أن أعرف؟ لقد ظننت أنك صعدت لكى...»

وسكت مترددا، وأحست جين بوجهها يلتهب. فتساءلت:

«ماذا كنت تظن؟»

«ظننت أنك ذهبت للقاء كولن.»

«أرجوك دعنا نواصل طريقنا الآن.»

«لن نتحرك وأنت تبكين.»

«أنا لا أبكى.»

«بحق السماء حاولى أن تتوقفى عن البكاء. لقد اعتذرت لك.»

مسحت وجهها بالمنديل وقالت بنبرة تكاد تكون طبيعية:

«أرجوك تحرك الآن فأنا متعبة جدا.»

فى ذلك الضوء الخافت خيل اليها وكأنها رأت شيئا ما فى وجهه أحال جسمها الى شعلة ملتهبة. وكأنها واقعة تحت تأثير مغناطيسى، نظرت الى عينيه، كانتا داكنتين فيهما ظلال أحدثها ذلك الضوء الذى بدا كبحيرة صغيرة. سمعت تردد أنفاسه، ورأت صدره يعلو ويهبط، وذلك التجويف الداكن الظلال فى أسفل عنقه، بينما كان وجهه المائل داكنا مكتمل الرجولة.

www.elromancia.com

ضغطت على يديها محاولة استعادة حالتها الطبيعية. قال لها فى رقة:

«أرجعى رأسك الى الخلف وحاولى أن تستريحى. لن أسير مسرعا.»

امتثلت لما قاله. وأحست بهدوء غريب، تحركت السيارة فى بطء، تزيد من سرعتها كل لحظة وهو يقودها بعناية فى طريق العودة.»

أغلقت جين عينيها محاولة أن تخلد إلى النوم، على الأقل لن يكون عليها أن تتكلم معه. لمنها ستحاول التفكير برغم أن الافكار تتصارع فى رأسها مثيرة للقلق، فقد ظل وجهه الساخر يتراءى لها. وأدركت بأنه لا يكرهها عندما كانت تتحدث عن استيائه منها، بل كان يحرص دائماً على تغيير الموضوع. أوقف غافن سيارته أمام البوابة الخارجية وقال:

«سنقطع الممر سيراً على الاقدام. أين مفتاحك؟»

فتحت جين حقيبتها وبدأت تبحث عن المفتاح. قطبت جبينها وبدأت تتحسس بدقة أكثر فى كل ركن و بحركة يائسة سريعة أفرغت حقيبتها، وبدات تقلب فى محتوياتها فلم تجد أثر للمفتاح.

«أتسمحين لى؟»

قال لها ذلك وهو يأخذ الحقيبة الفارغة ويدس يده فيها متحسساً البطانة ثم قال:

«لا أثر للمفتاح. أتظنين أنه سقط منك فى مكان ما؟»

«نعم عندما صعدت الى الطابق الأعلى للاستلقاء سقطت منى الحقيبة، نسيت هذا تماماً.»

«هل كانت الحقيبة مفتوحة اثناء سقوطها؟»

«لا أدرى. كولن هو الذى التقطها.»

نزل غافن من السيارة قائلاً:

«تعالى، سنحاول أن ندخل فى هدوء.»

ركضت خلفه وهو يسير بخطوات واسعة فى الممر المتعرج الموصل الى المنزل، وهى تتمنى أن يجدا نافذة مفتوحة فى الطابق الأسفل. لن تنسى هذه الأمسية الثقيلة كالكابوس. حدثت نفسها بذلك فى تعاسة وهى تتعثر فى صندلها ذى الكعب العالى محاولة اللحاق بغافن.

المنزل يلفه الظلام وسكانه نائمون. أشار لها غافن بأن تلتزم الصمت. حاول فتح الباب الخارجى أولاً ثم بدأ يجرب النوافذ واحدة تلو الأخرى. وعندما اختفى فى الفناء الخلفى للمنزل انتظرت جين وهى لا تجرؤ حتى على الحركة. عاد بعد أقل من دقيقة. أجذها وجهه بالنتيجة ولم تكن فى حاجة لأن تسأل.

دنا منها وقال:

«ليس أمامنا الآن إلا أن تحاول ايقاظ إلن، ولكننا على وجه التأكيد سنوقظ والدك المتعب الآن، وهذا مالا أود أن أفعله. بقى أمامنا اختيار واحد.»

«ما هو؟»

«أن تنامى فى منزلى.»

وعندما نطق بهذه الكلمات بدأ يسير وقد تأبط ذراعها مبتعداً عن

المنزل، يجذبها بعيداً، حتى يستطيعاً أن يتحدثا بحرية أكثر. ثم توقفت عن السير، منتزعة يدها من يده وهى تصيح:

«كلا... كلا.»

«ماذا تقترحين؟»

«ألا يمكننا أن نقذف بعض الحصى على نافذة إلن؟»

«أين غرفة إلن؟»

«لا أعرف. أظنها فى الناحية الخلفية من البيت.»

«اذا كنت تظنين أننى سأقف هنا لأقذف كل نافذة بالحجارة، فأنت مخطئة... وحتى فى هذه الحالة ليس هناك ما يضمن أنها ستستيقظ من نومها العميق. لا تنسى أنها تذهب الى فراشها فى ساعة متأخرة وتستيقظ مبكرة. تعالى.»

تأبطها مرة ثانية، ولكن بقدر أقل من الرقة هذه المرة حتى وصلا الى السيارة.

استدارت جين قائلة:

«الجاراج ليس مغلقاً ويمكننى النوم فى السيارة.»

«لا تكونى حمقاء.»

قال كلمته الأخيرة بخشونة وهو يفتح لها باب السيارة وقد نفذ صبره. بعد دقائق كانا أمام منزله حيث كان ضوء متوهج فى البهو يغمر الممر. ارتقى غافن السلم راكضاً ووضع مفتاحه فى قفل الباب مستديراً تجاه جين التى كانت لا تزال فى السيارة.

«تعالى.»

امتثلت جين وهى تحس بالحيرة. ثم تجمدت لدى رؤية ذلك الكلب الضخم، يهز ذيله القصير بحركة سريعة ويقفز عالياً على غافن الذى عرفت الابتسامة طريقها الى وجهه الآن.

استدار قائلاً:

«لن يمسك بأذى فلا تخافى.»

«أنا لا أخاف الكلاب إلا إذا وثبوا على فى الظلام.»

«من الأفضل أن تحييه».

مدت جين يدها ليتشممها فجلس أمامها مصدراً أنيناً خافتاً وهى تربت على رأسه مبتسمة لعينيه الرقيقتين.

رفعت جين رأسها لتجد غافن واقفاً يرقبها وقد علا وجهه تعبير غريب فأحست بالارتباك، وقد بدأ قلبها يدق بشدة. فهى لم تر وجهه على تلك الصورة قبل اليوم.

استدار غافن فجأة قائلاً:

«سأعد فنجانين من القهوة لنتناولهما فى المطبخ.»

لحقت به جين بعد تردد بدأ الموقف كله يأخذ طابع الحلم، يسوده جو غير واقعى. حتى وبدأت جين تتساءل عما يمكن أن يحدث بعد ذلك.

«اجلسى. سأحضر لك قرصين من المسكن للصداع بعد دقائق لن تحسى بثقل فى رأسك غداً اذا ما تناولتهما مع القهوة. هل انت

www.elromancia.com

جائعة؟»

«كلا، شكراً.»

هل ان ما يحدث الآن حقيقي. هل هي بالفعل في منزل ذلك الرجل، على وشك ان تنام في إحدى غرفه. تساءلت وهي لا تقوى على النظر اليه:

«آمل ألا نوقظ مديرة منزلك.»

«تحاولين أن تعرفي ما إذا كان شخص آخر غيرنا في المنزل؟؟

«أعتقد أن هذا هو ما قصدت بالفعل؟.

«أنا آسف أن أقول لك إننا وحدنا تماماً. فمديرة منزلي وزوجها يسكنان بيتاً صغيراً في الحديقة.»

وضع أمامها فنجاناً من القهوة الداكنة ووضع جوارها اللبن والسكر قائلاً:

«لا تقلقي. فأنا لا أغازل الأطفال.»

شهقت جين وقد اشتعلت وجهها. ثم تلعثمت قائلة:

«أنا لم اقصد.»

«نعم لقد قصدت ذلك.»

أتى بزجاجة دواء صغيرة وضعها أمامها ثم سحب كرسياً وجلس وقال:

«لا تستشيطي غضباً هكذا. فمن الطبيعي تماما أن تسألي

وتطمئني. وقد أجبتك، والآن ارجوك أن تنسي هذا الموضوع.»

ربت على الزجاجة قائلاً:

«تناولي قرصين من هذا الدواء واشربي فنجان قهوتك. لقد تجاوزت الساعة الثالثة صباحاً، ولست أنت وحدك المتعبة.»

كانت أفكار جين مشوشة وذهنها في حالة اضطراب وقد اختلطت فيه الانفعالات. فتحت الزجاجة وتناولت قرصين. وبيد مرتعشة احتست القهوة وهي ترتجف قليلاً. كيف يمكنه أن يكون قاسياً الى هذه الدرجة. أدركت كم هي في الحقيقة مجهدة، ثم انحنت وربتت على ظهر الكلب الرابض في جوارها.

«سأصحبك الى غرفتك.»

ابتلعت جين الجرعة الأخيرة من القهوة. ثم نهضت واضطرت للامساك بالمنضدة بعدما شعرت بالغرفة تتأرجح بها. قطب غافن جبينه متسائلاً:

«ألا زلت تشعرين بالاعياء؟»

«كلا، انني مجهدة فقط»

قادها الى البهو ثم ارتقيا سلماً. كان كل شئ على درجة كبيرة من الفخامة، كان الضوء ينعكس في توهج على اطارات المرايا المذهبة والنوافذ الواسعة العالية. وعندما وصلا الى الطابق الأعلى مس ذراع جين بخفة قائلاً:

«من هنا.»

قادها الى غرفة صغيرة ذات أثاث جميل. كان غطاء السرير أبيض وقد تناثرت سجاجيد بيضاء صغيرة على ارض الغرفة.

أضاء النور ثم أشار الى باب فى داخلها قائلاً:

«هناك تجدين حماماً مستقلاً فيه كل ما تحتاجين اليه. فستجدين أيضاً تشكيلة من ثياب النوم فى الدرج الاول من منضدة الزينة سأذهب لأدخل كارلو وأغلق الأبواب. اذا احتجت الى شئ ما، فما عليك إلا أن تطلبى.»

مشى عائداً الى الباب ثم توقف قليلاً ناظراً الى جين التى كانت تقف قرب السرير.

«ليس للباب قفل من الداخل لكنى أعدك بأن أحداً لن يزعجك.»

«اشكرك.»

خرج، وأغلق الباب خلفه فى هدوء. أطلقت جين آهه مرتعشة. جلست فى فراشها محاولة أن تستجمع شتات أفكارها. هل يمكن أن يكون هذا هو الرجل نفسه الذى رأته يفرض رأيه، متسبباً فى ذلك المشهد الكريه فى المطار؟ وماذا سيكون رأى الخالة دورثى فى كل ما حدث ويحدث؟ لم تجرؤ على الاستمرار فى التأمل. توجهت الى الحمام. كان مزخرفاً فى رقة وجمال كما ثبت فى الحائط حامل للنباتات. غسلت جين وجهها ويديها وشعرت على الفور بتحسن كبير.

ارتجفت عندما سمعت ضربات أجنحة خشنة صاحبتها صرخة حادة، فى حين مر أمامها شبح أسود، استدارت جين صارخة وقد احست بذعر مفاجئ. ويدخل غافن الحجرة مسرعاً، حكت له وهى

ترتجف، قال لها مطمئناً:

«انه مجرد خفاش. لقد سبق وقلت أنك لا تخافين الخفافيش!»

ولم ترد جين. وخيم الصمت على المكان واستمر قلب جين فى الخفقان بصورة زادت من إحساسها بالدوار، وغمر كيانها كله احساس غريب لم تكن تتخيله.

وبينما كانت جين تقف مرتعشة من جراء ما يصطرع داخلها، استعادت فجأة ذكرى مؤلمة، ذكرى عن خالتها، عن شئ يماثل هذا الموقف بشكل ما فقد عادت يوماً من المدرسة وقد ملأتها السعادة، تواقة لأن تبلغ الخالة دورثى انها فازت بجائزة فى الرسم. ألقت بذراعيها حول خالتها، تحتضنها، لكن الخالة دورثى دفعتها بعيداً وهى تصيح فى دهشة وقد زمت شفتيها:

«ماذا تفعلين بحق السماء؟»

غادرت جين الغرفة حينذاك وحيدة وقد أحست كم هى مرفوضة بشكل تعجز عن وصفه. ها هو التاريخ يعيد نفسه. إنها تشعر بالاحساس نفسه الآن. ملأ صدرها ذلك الألم المألوف، يتصاعد ليصل الى حنجرتها وقد أوشك أن يخنقها، استدارت صارخة وركضت نحو بيت والدها.

تسمع وقع خطواته وهو يتبعها:

«جين انتظرى.»

«دعنى من فضلك، ابتعد عنى.»

انكمش جسدها خوفاً من التعرض لمزيد من الاذلال، بينما كانت تسير متعثرة فى المطبخ.

«انتظرى.»

أطبقت على ذراعها يد قوية، ليسقط شعرها على وجهها فى فوضى جامحة وهى تتلوى يائسة تحاول تخليص نفسها من تلك القبضة الصلبة.

«لا تلمسنى...»

هل كانت مجنونة عندما سمحت لنفسها بأن تستجيب بهذا الشكل الى لمسة ذلك الرجل.

ظلت مشيحة بوجهها بعيداً حتى تتهرب من تلك السخرية التى تعلم تماماً أنها ستراها فى عينيه. كانت متأكدة من ذلك. أليس هو وخالتها على شاكلة واحدة.

لم يكن هناك جدوى. فقد كان أقوى منها كثيراً. تنهدت ثم ارتخت غير قادرة على الاستمرار فى مقاومته:

«أنظرى الى يا جين.»

رفعت رأسها، وكأن قوة عظمى لا تستطيع مقاومتها دفعتها الى ذلك. كانت عيناها مليئتين بالدموع وقد ابتلت أهدابها الحريرية الطويلة فأصبح لونها داكناً. انتظرت كلماته. أصبحت عيناه داكنتين جداً. لم يكن فيهما أى أثر للسخرية التى كانت تخشاها، لكن كان فيهما شئ آخر. قال:

«أنا آسف يا جين.»

انتزعت ذراعها من قبضته وتراجعت وهى تصرح:

«آسف؟ أنا واثقة أنك آسف حقاً. لماذا لا تنفجر ضاحكاً؟»

تقدم نحوها فصاحت:

«ابتعد عنى. انى أكرهك، أتسمعنى؟ أكرهك.»

رفعت يدها الى فمها وكأنها تحاول ان تمنع نفسها من التمادى فى الخطأ. ثم هرعت خارجة من المطبخ ترتجف فى اضطراب.

www.elromancia.com

٦- التلميذة الجريئة

تقلبت جين فى الفراش مؤرقة بلا جدوى أن تجد فى النوم ملاذاً فبرغم أنها كانت منهكة القوى فانها ظلت يقظة متنبهة وهى مستلقية وسط الظلمة تسمع دقات ساعة حائط البهو أطل الفجر، حين خلدت الى النوم أخيراً.

استيقظت على صوت نقرة خفيفة على الباب، وصوت يقول:

«هل أدخل؟»

ظلت مستلقية فى فراشها فى صراع بين النوم و اليقظة، حتى استيقظت تماماً، و وعت، أين هى وكيف وماذا حدث. فهبت جالسة تحرك مقبض الباب بلطف.

«جين صباح الخير هل استيقظت؟»

«كلا، أذهب عنى.»

كان صوتها خفيضا لا يمكن لأحد أن يسمعه، وعندما فتح الباب، استلقت بسرعة على الوسادة وجذبت الغطاء عليها. لم تكن تريده أن يراها، ولم تكن تود أن تنظر إليه وتساءلت عما إذا كانت ستتمكن من

النظر اليه مرة ثانية.

«أحضرت لك فنجاناً ساخناً من القهوة.»

لزمت مكانها، متصلبة، تمسك بالأغطية بقوة حول وجهها الذى أشاحت به بعيداً عن الباب.

«شكراً لك.»

كان صوتها مكتوما، لكنه مسموع.

«إنها الحادية عشرة. هل تودين أن تأكلى شيئاً»

«كلا، أشكرك. اذهب من فضلك واتركنى وحدى.»

سمعته يضع فنجان القهوة وبعد لحظة سمعت صوت انغلاق الباب. نهضت جين وقد عزمت ألا تبقى أكثر مما ينبغى فى منزل غافن فبعد دقائق ستخرج من منزله بلا رجعة. وهكذا صار.

عندمـــا وصلت الى المنزل وذهبت لتلقى والدها تمكنت من أن تتظاهر بأنها طبيعية. حياها بولع، ناظراً الى وجهها المرهق بفضول قلق، ثم قال:

«ترك لى غافن مذكورة تحت الباب الليلة الماضية آسف لأنك لم تستطيعى دخول المنزل ولكنى واثق برغم ذلك أنك شعرت بالراحة فى منزل غافن. فهو مضيف ممتاز.»

«نعم، لكننى لم أستطع النوم جيداً. كان الوقت متأخراً وأنا بالأصل لا أستطيع أن أنام فى فراش غريب.»

فكرت فى فراشها الآمن ثم قالت:

www.elromancia.com

«أعتقد أننى احاول النوم».

«استريحى كما يحلو لك. سيحضر ماك لتناول الغداء معنا. هل التقيت به أمس؟»

«نعم، إنه رجل ظريف جداً.»

لم تكن تريد أن تفكر فى تلك الليلة المشئوومة، وسيكون ذلك بالقطع مستحيلاً مع مجيئ ماك. فإنن والدها يريد طبعاً أن يسمع كل مادار فى الحفل. كانت تعرف أنها ستشعر بتحسن بعد النوم، كما انها فى حاجة الى وقت تفكر فيه على انفراد.

عد مرور ساعتين، احست جين بالراحة والانتعاش وبأنها استعادت حالتها الطبيعة. نزلت وقد ارتدت أحد أثوابها القطنية الجديدة كان لونه أخضر صارخاً مبرزاً لون عينيها. كان شعرها ممشطا الى الوارء فى استرسال.

كان ماك يجلس مع أبيها فى فناء ظليل خلف المنزل. نهض يحييها قائلاً:

«كنت أقص على أبيك كيف كنت نجمة الحفل.»

قالت جين ضاحكة:

«لا تصدقه يا أبى فقد كان هناك عدد من الحسناوات».

«نعم بالفعل، لكن لم تكن من بينهن مثيلة لك. استاءت الحسناء سارة جداً لرحيلك مع غافن. هل كان سبب اعيائك هو تلك الوجبة الدسمة؟»

«نعم.»

نظر اليها قائلاً وقد تذكر شيئاً:

«عثر كولن على مفتاحك ومعه دثار بنى. لاشك أنه سيحضرهما»

«أوه نعم.»

ناول الجميع طعامهم فى الفناء. جلس جون وماك يتحادثان فى ود، وقد أعطاها ذلك وقتاً للتفكير، عادت بأفكارها الى غافن. لم يكن فى المنزل عندما نزلت الى الطابق الاسفل. كان الباب الخلفى مفتوحا ولم يكن هناك أثر لكارلو أيضا. تركت له رسالة صغيرة تشكره فيها على ضيافته وانسلت خارجة من المنزل.

ترى هل سيحضر غافن الآن الى منزل والدها؟

إن حضر فلعله نسى بالفعل ذلك الحادث التافه. فغافن من ذلك الطراز. كان يعتبرها طفلة، أنانية تسعى وراء المال، لكنها فى النهاية مجرد طفلة. كم كان سلوكه متفاوتاً مع سارة.

لاتزال نظرته وهو يحى سارة قبل الحفلة تتراءى لجين، كان فيها شئ من العاطفة. حتى أنها بمجرد التفكير فيها الآن، أحست بإنفعال عاطفى لا تعرف كنهه. تراءى لها من جديد وجه سارة مرفوعاً وهى تتلقى تحية غافن، سارة بملامحها الجميلة، واثقة مطمئنة. كم هو رائع أن يكون المرء هكذا، أن يكون ممتلئاً بالثقة بنفسه، أن يعرف أنه محبوب.

أنزلت الملعقة من فمها وقد أحست أن حلوى القشدة المخلوطة بالخوف ذات النكهة اللذيذة تحولت فى فمها إلى شئ جاف كريه

www.elromancia.com

المذاق.

رمقها ماك قائلاً:

«آمل، ألا تكونى ملتزمة بنظام غذائى معين؟»

تمكنت جين من افتعال ضحكة رقيقة وقالت:

«كلا، لكنى لست جائعة.»

«ربما كان ذلك بسبب الطعام الكثير الليلة الماضية.»

«أتأذنان لى؟»

دفعت مقعدها الى الوراء وتوجهت الى غرفتها. توقفت فى طريقها كالعادة لتنظر الى لوحات والدها. تحسست برفق لوحتها المختارة ومست بأناملها ثنايا الألوان الزيتية السميكة لمشهد طفل وكلبه يحدقان باشتياق فى زورق صغير وسط بحر هادئ.

صعدت السلم وهى تتنهد، مطرقة الباب ترتفع وتطرق مرتين بقوة، تحركت جين فى هدوء أعلى السلم، ووقفت بعيدة عن الأنظار وقد سمعت مديرة المنزل تطقطق بخفيها قادمة من المطبخ. خفق قلبها، وجف حلقها، فقد كانت تعلم من الطارق قبل أن تسمع صوته قائلاً:

«مرحبا يا إلن. هل جون فى المنزل؟»

«مرحباً يا سيد غافن. كان عليك أن توقظنى فى الليل عندما جئت الى المنزل مع الآنسة جين.»

تشبثت أصابع جين بشكل لاارادى بدرابزين السلم سمعت غافن يضحك بدأ قلبها يخفق بعنف، تلاشى صوتاهما تدريجياً وابتعدا فى

اتجاه البهو فتنفست جين الصعداء.

إنه هنا. سيكون عليها أن تنزل و تواجهه. عليها أن تفعل ذلك فى وقت من الأوقات، وربما يكون الضغط أخف فى حالة وجود ماك أيضاً. ذهبت الى غرفة نومها، مشطت شعرها، ووضعت من جديد أحمر الشفاه. لم يكن فى وسعها أن تفعل شيئاً لازالة ذلك اللون الداكن تحت عينيها.

ووقفت جين فى غرفة الجلوس بضع دقائق فى محاولة لاستعادة قدر من الاصرار الذى أحست به منذ قليل فى الطابق الأعلى. كان يمكنها أن ترى الرجال الثلاثة فى الفناء عن بعد، وقد حجبهم بشكل جزئى حائط يستظلون به. كان فى وسعها أن تسمع أصواتهم أن تسمع ضحكة غافن فأوشكت أن تدور على عقبيها عائدة.

خرجت جين الى الفناء وقد بدت فى الظاهر هادئة ساكنة و إن كانت ترتجف من الداخل، قالت وكأنها فوجئت بوجوده:

«مرحباً يا غافن. أشكرك مرة ثانية على كرم ضيافتك.»

نهض غافن وقال:

«أهلا بك يا جين.»

لاحظت ارتعاشه ما فى وجهه ونظرة حائرة، وكأنه كان يتوقع أن يراها بصورة مختلفة... زاد ذلك من ثقة جين. توجهت نحو مقعدها وجلست. نجحت فى اجتياز أولى العقبات و أصبعها. والآن يمكنها أن تواصل مسيرتها دون تردد.

دخلت إلن لترفع بقايا المائدة، وجلست جين فى صمت تتمنى أن

يذهب غافن. ظل يرمقها بين الحين و الآخر بنظرات مترددة، لكنها مع مرور الوقت اكتسبت مزيداً من الثقة فى النفس، وأصبحت قادرة على مبادلته النظر فى هدوء.

هدأ الحوار برهة لتسمع صوت غافن يقول:

«كيف تسير مشروعك يا ماك؟»

كانت جين ترقب وجه ماك بينما كان غافن يوجه اليه الحديث، أحست بالحيرة إزاء التعبير الذى ملأ وجهه. أجابه ماك وقد رفع أحد حاجبيه فى اهتمام واضح:

«أتعنى مدرسة الحضانة؟ بخير.»

«هل عثرت على واحدة تحل محل شيرلى؟»

كانت جين ترقبهما وهى تسائل نفسها، لقد كان ماك على وشك أن يقول شيئاً فلماذا قاطعه غافن. استطرد ماك قائلاً:

«لم أعثر على أية متطوعة اذ ليس من السهل أن تعثر على متطوعات.»

ابتسم فجأة لجين وهى ترقبهما قائلاً:

«لو لم تكن جين آتية الى هنا فى أجازة لسألتها.»

نجح فى اثارة حب الاستطلاع لدى جين فردت على بسمته ببسمة أعرض منها متسائلة:

«ماذا كنت ستسألنى؟»

«كنت أمزح فقط.»

قطع حديثه ونظر الى غافن بسرعة. فاستحثته جين متوسلة:

«أرجوك استمر.»

«حسناً، بدأت اعداد دار صغيرة للحضانة، خارج بورت بارتريك لأطفال عاملات مصنع التعليب. وهذا يعنى أننا سنحتاج الى مزيد من الايدى العاملة، من أمهات أطفال تتراوح أعمارهم ما بين ثلاث وست سنوات. إنه مشروع مازال فى مرحلته التجريبية. ميغان تحضر يومين فى الأسبوع. كما أن هناك أخريات. شيرلى مورى كانت تساعدنا أيضاً لكنها ستتزوج خلال الأسبوع القادم، وهكذا فالمشروع مهدد بالتوقف.»

هز كتفيه معتذرا عن الاستطراد فى الحديث قائلاً:

«أنا أكثر الكلام فى هذا الموضوع فارجو المعذرة.»

«ماذا يتطلب هذا العمل بالضبط؟»

«الأشياء المعتادة تعليم أولى جداً، ومراقبة الأطفال أثناء لعبهم. أصبحو الآن يتوقون الى المجئ بدلاً من أن يلعبوا فى الشوارع كما تعودا. فكل أسبوع يتقدم لنا أطفال جدد. إن هذا الوضع يذكرنى بكرة الجليد التى تتعاظم كلما استمرت فى التدحرج.»

«هذا يبدو رائعاً.»

استرخت جين وقد انحنت الى الأمام وشبكت يديها وسقط شعرها الناعم الى الأمام، حاجبا ووجهها. نظرت الى والدها، الذى يكن يفوته شئ وهو يراقب فى صمت.

«أنا أرغب فى المساعدة.»

www.elromancia.com

تلعثمت قليلاً وقد رأت تعبير وجه والدها لكنه قال برفق:

«ليس لدى أية نيـة لمنعك إذا كنت ترغـبين فى الذهاب. لدى إحساس أنك ستجدين هذا المشروع ممتعاً.»

ساد الصمت هنيهة، وأدركت جين أن غافن لم ينطق بكلمة أثناء هذا الحوار. جعلها هذا أكثر تصميماً فقالت:

«ماك، أنا أود المساعدة. قبل أن أحضر الى هنا اجتزت امتحان القبول فى كلية تدريب المعلمات. وهذا سيكون تدريباً جيداً لى.»

ألقى ماك رأسه الى الوراء ضاحكاً وقال:

«أتنوين ذلك حقا؟ أنت فتاة رائعة يا جين. متى ستأتين غداً؟»

«نعم، إذا أردت. هل يوافقك هذا يا أبى؟»

أومأ وقد علا وجهه بعض الانفعال ثم مد يده مربتاً على يدها وقال:

«بالطبع يا جين، أنا سعيد بك.»

ملأتها كلماته بوهج دافئ لكنه خبا حين تساءل ماك:

«ولكن كيف ستصلين الى هناك؟»

«لم أفكر فى هذا الأمر.»

تحدث غافن قائلا:

«يمكننى أن أمر عليك فى الثامنة وانا فى طريقى الى المدينة، هل هذا الوقت يناسبك؟»

نظرت الى ماك آملة أن يقترح بديلاً آخر لكنه هز رأسه بانشراح قائلاً:

«أشكرك يا غافن. وفى هذه الحالة سآخذك انا فى طريق العودة ومعى جين.»

«شكراً لك.»

أضافت:

«سأتعلم القيادة، حتى اتمكن من أن أذهب بمفردى.»

قال غافن:

«ليس الأمر بهذه السهولة يا جين.»

نظرت اليه، فرأت تلك البسمة المتعجرفة قالت وعيناها تشعان بالتحدى:

«لا أستطيع أن أعرف ذلك قبل أن أجرب، أليس كذلك؟»

هز كتفيه قائلاً:

«أنت محقة، إن سيارتى على بعد أمتار. هل تودين أن تتلقى درساً الآن؟»

سمعت جين ضحكات والدها وماك اللاهية كما رات تلك البسمة الخاطفة التى مست شفتى غافن. غنه يتوقع أن ترفض نظرت اليه بعينين واسعتين قائلة:

«ألا تخشى أن أقود بك السيارة وأصدمها فى أقرب شجرة؟»

www.elromancia.com

«لا....»

«أنت حر. وعليك تحمل النتائج.»

لم تعرف لماذا قالت هذا- وكأن الكلمات خرجت من تلقاء نفسها- أحست بالبرودة تسرى فى مفاصلها عندما نهض من مكانه قائلاً:

«اسمحوا لى، سأعود بعد دقائق.»

دخل الى المنزل دون أن ينظر وراءه.

نظر ماك الى جون الذى كان يراقب جين وقال له:

«أتعرف ياجون إن ابنتك فتاة جريئة.»

«بدأت أعتقد ذلك.»

«أنا آسفة يا أبى، لا أحب أن اكون فظة مع ضيوفك، لكن.»

«لا تقولى شيئاً يا جين، فغافن يستمتع بمثل هذه المشاحنات، أليس كذلك يا ماك؟»

«نعم، أعتاد أن يطيعه الجميع و لا أشك أنه سيثيره أن يلتقى شخصاً لا يخاف أن يفصح عن رأيه بصراحة.»

منعها صوت وقع أقدام قادمة من أن تجيب عليه. رفعت رأسها لترى غافن قادماً.

نظر غافن اليها قائلاً:

«هل أنت مستعدة؟»

نهضت جين متجة الى الخارج وهى آسفة على قبولها تحدى هذا

الرجل. أى جنون هذا الذى تملكها؟ أبعد كل الذى حصل ترضى بالعدو اليه؟

«هل تشعرين بالتوتر؟»

سألها فى رقة وهو يفتح الباب الخارجى مشيراً لها بالخروج قبله.

«كلا. هل يجب أن أكون متوترة؟»

كانت فى الحقيقة متوترة. ترددت وهى تهبط السلم، بل إنها أوشكت على التعثر. قال وكانه أحس بهذا التردد:

«لست مضطرة الى الخروج معى.»

«ألا يروقك أن أنسحب؟»

نطقت جملها هذه وهى تضغط على أسنانها، واتجهت رأساً الى مقعد القيادة.

«انتظرى لحظة، ستجلسين الى جوارى أولاً، راقبينى جيداً و أنا أقود، ثم يأتى دورك.»

أراها كيف تدير المحرك وانطلقت السيارة. وبدلاً من أن يتجها الى اليسار صوب بورت باتريك اتجها ناحية اليمين فتساءلت جين:

«الى أين نحن ذاهبان؟»

«الى المطار. فليس هناك حركة يوم الأحد. ستجدين مساحة فضاء لتتعلمى القيادة.»

«هل أنت دائماً متوترة هكذا، أم أن هذا يحدث معى فقط؟»

حاولت ان تستعيد هدؤها ثم قالت:

«لست متوترة، أنا أحاول أن أركز تفكيرى على ما تفعل لقد طلبت منى أن أرقبك.»

«أقدم لك اعتذارى.»

كانت تكمن فى صوته نغمة ضاحكة، تلك العجرفة الزائدة تثير جنونها. أنه شخص لا يحتمل، مثل الخالة دورثى، انه دائماً على حق.

«بعد بضعة أميال سأترك لك عجلة القيادة. اتفقنا؟»

خفض من سرعة السيارة. لقد وصلا الآن الى الحدود الخارجية لأرض المطار القديم، الذى كان هادئاً ومهجوراً. أوقف غافن محرك السيارة وقال وهو يهبط من السيارة:

«الآن لنتبادل أماكننا.»

زحفت جين الى مقعده وأمسكت بعجلة القيادة التى كان فيها شئ من دفء يديه.

قالت جين محدثة نفسها. إن هذا الأمر مضحك. فها أنا على وشك أن أتعلم القيادة على يدى الرجل الذى قررت أن أتجاهله تماماً، وهو سيراقب الآن كل حركاتى- وعلى أن أتحمل ذلك طوال ساعة او يزيد جلس الى جوارها وقد مد ذراعه على ظهر المقعد قائلاً:

«هل كل شئ على ما يرام؟»

تحركت السيارة بارتجاج فى بادئ الأمر ثم بسلاسة أكثر عندما تلمست طريقها الى محرك السرعة «الفتيس».

«حسنا...»

كان صوته هادئا. وأحست جين بجسدها المتوتر يسترخى بينما كانت تنفذ لتعليماته. امتدت يده مرة وحركت يديها على عجلة القيادة. كانت لمسة سريعة خفيفة لم تدم سوى لحظات.

كانت تستجيب لأوامرة له طواعية دون أى ارتباك أو تردد. وأدركت فجأة أيضاً أنها تشعر بالمتعة.

طلب منها أن تتوقف قائلاً:

«أحسنت حتى الآن.»

أحست جين فجاة وكأن قلبها يترنح ثم أعقب ذلك وهج دافئ. كم هو امر مضحك هذا التناقض فى مشاعرها نحوه.

بعد مضى ساعة توقفا. كانت تتصبب عرقاً وقد أحست بألم فى جسدها كله بفعل التركيز الذى بذلته طوال الساعة الماضية. جلست ساكنة تنتظر تعليماته.

«سنستريح الآن، انزلى ومدى رجليك، فأنت فى حاجة الى فترة راحة.»

نزلت، وقد أحست بمفاصلها متخشبة مرتعشة. كان يرقبها بنظرة سريعة ثم سألها بتحفظ:

«أتحتاجين الى مساعدة فى السير؟»

نصبت ظهرها المتألم واخذت تضم أصابعها وتبسطها، ثم قالت وهى تتلفت حولها:

www.elromancia.com

«كلا شكراً. الى أين ستذهب الآن؟

«ستريت. تفضلى من هنا.»

تبعته وقد اختفى وراء كوخ من الأكواخ الجاهزة البناء، برميلى الشكل ذلك الكوخ الذى كان أول شئ تراه عندما وصلت الى سارامنكا.

دخلا الى الكوخ المهجور، كان وقع أقدمهما على ارض الكوخ الاسمنتيه يتردد فى صوت مكتوم بينما يقودها صوب باب فى مؤخرة الكوخ. وجدت نفسها تساءل:

«ما من أحد هنا، هل من المسموح لنا أن ندخل؟»

«نعم»

أجابها بنبرة هامسة تردد صدى نبرتها، ثم أبطأ خطواته وامسك بذراعها بطريقة غريبة أحست فيها بالأمن وقال:

«هناك مطبخ فى المؤخرة فيه ثلاجة ملأى بالمشروبات والثلج تريدين عصيراً مثلجاً بالتأكيد أليس كذلك؟»

أحست بأصابعه على ذراعها وكانها كتلة من نار. واحست بالارتياح عندما سحب يده ليفتح لها الباب وقد تراجع خطوة ليفتح لها الطريق. كانت الحجرة الصغيرة شديدة الحرارة فسال العرق من جديد على جبهة جين. أشار لها أن تجلس على أحد المقاعد فأرتمت عليه.

وضع كوبين على المنضدة واخرج علبتين مرطبات من الثلاجة ثم ألقى عددا من مكعبات الثلج فى الأكواب وفتح العلبتين وقال:

«ليس فى الثلاجة غير هذا النوع من المرطبات.»

هزت رأسها قائلة:

«لا بأس.»

أخذ مقعداً لنفسه وجلس فيه وكانه يمتطى سرجاً مسنداً ذراعيه على ظهلر المقعد. أخذ يرقب جين بنظرة تائهة ثم قال:

«أحسنت القيادة. هل أكتفيت بهذا التمرين اليوم؟»

«سأترك ذلك لك.»

أجابته وهى تزحلق أصبعها على الكوب المثلج. اكتشفت أنها لا تستطيع مبادلته النظر فى ثبات، الأمر الذى كان مثار توترها.

«أعتقد أنك أخذت كفايتك. يبدو عليك الاجهاد.»

صمت لحظة ثم أضاف:

«هل لى أن اطرح عليك سؤالاً؟»

أجفلها السؤال لكنه بارد مستطرداً:

«اريد أن أسألك شيئاً يتعلق بماك»

قالت وقد هدأت:

«ماذا؟»

«لماذا عرضت عليه أن تساعديه فى مدرسته؟»

«لأنى أردت ذلك. هذا العمل يبدو ممتعاً لى ولماذا تسأل»

«أنت الآن فى أجازة وما من أحد كان يتوقع أن تتطوعى لهذا العمل.»

عادت الى ذهنها تلك الصورة، وهم جالسون فى الفناء فى منزل والدها، كيف أن غافن هو الذى أثار الموضوع أولاً، وكيف كانت النظرة التى علت وجه ماك وتعمد غافن مقاطعته عندما كان ماك على أهبة أن يقول شيئاً. أحست جين أنها على وشك اكتشاف شئ ما. اطلقت زفرة عميقة ثم نظرت اليه متسائلة. فقد كانت فى حاجة لأن تعرف.

«قل لى. كنت أول من أثار الموضوع. وقد فعلت ذلك لغرض ما. ما هو؟»

ابتسم ورفع يده اليمنى فى حركة استسلام قائلاً:

«أنت ذكية جداً يا جين.»

قالت بعناد وقد شددت قبضتها على الكوب:

«وجهت اليك سؤالاً.»

جاء صوته رقيقاً:

«نعم كان لى هدف كنت أود أن أعرف اذا كنت ستتطوعين أم لا.»

«لماذا؟»

«أرجعى هذا الى حب الاستطلاع.»

قال جملته الأخير محدقاً فيها وكأنه يتحداها أن تسأله لمزيد.

«ظننت أننى لن أتطوع، أليس كذلك؟»

«تصورت ذلك بالفعل.»

نهضت وجذبت حقيبتها بشدة من المنضدة اجتاحها غضب مفاجئ.

أحست أنها ستختنق اذا ظلت فقالت:

«انا آسفة لأنى خيبت ظنك، والآن أريد أن أعود الى المنزل»

«هل اغضبتك؟»

قاومت بشدة حتى استطاعت أن تتمالك نفسها ثم قالت:

«نعم أغضبتنى. من تظن نفسك؟»

«قلت لك الحقيقة. فانا لا أكذب. هل كنت تحبين أن أنفى ذلك؟»

«بأى حق تخضعنى لمثل هذه الاختبارات؟ أنت مغرور بشكل لا يطاق. لقد توقعت ان افشل فى محاولة القيادة أليس كذلك؟»

«كلا لم أفكر فى الحقيقة فى هذا الموضوع. وأنت لن تصلى الى شئ اذا فقدت أعصابك معى.»

أطلقت ضحكة ساخرة وهى تقول:

«كلا! أنت، أنت تتصور انك تملك الجميع أن بوسعك أن تفعل ما تشاء. حسناً، ليس الأمر كذلك معى يا سيد غرانت. فانا لست أمرأة صينية مسنة يمكنك أن تطردها، أؤكد لك ذلك.»

كانت ترتجف متوترة وقد ملأتها رغبة جارفة فى أن تضر به. اتجه نحوها ثم وقف أمامها مباشرة قائلا:

«سيدة صينية؟ ماذا تقصدين؟»

«أخالك نسيت!... إن هذا لا يدهشنى.»

استدارت لتفتح الباب وتخرج من الغرفة الخانقة بعيداً عنه، فمد

www.elromancia.com

يده وأغلق الباب بعصبية قائلاً:

«لم ننته بعد.»

استدارت نحوه ثم قالت فى حدة:

«افتح الباب، لن أمكث هنا معك دقيقة واحدة بعد الآن.»

«بل ستمكثين، الى أن تفصحى عما تعنيه.»

«رأيتك فى مطار جافر تعرض آراءك على مجموعة من الموظفين وتمنع تلك المرأة الصينية المسكينة من أن تستقيل الطائرة. الى أين اقتادوها؟ الى غرفة التعذيب!»

فى تلك اللحظة انفجر ضاحكا. ثم تمالك نفسه قائلاً:

«يا إلهى هل بدا الأمر كذلك؟ هل أنت جادة حقاً؟»

اكتفت بتحريك مقبض الباب محاولة فتحه كرد فعل على تساؤله. جذبها وأدارها لتوجهه وقد أطبقت أصابعه على ذراعيها قائلاً برقة.

«أجيبينى من فضلك.»

«أنا لا أود أن أتحدث معك. ارفع يديك عنى فى الحال!»

«سأصبحك الى المدرسة غداً. ذكرينى ونحن هناك أن أريك شيئاً.» ومضت عيناه وأصبحتا أكثر سواداً وقدرة على التغلغل فيها واستطرد:

«وبعد هذا انا متأكد من أنك ستتراجعين فى الحال عن كلامك!»

٧- الصورة الحقيقية

عندما ذهبت جين الى فراشها بعد إجهادها المفرط دون استرسالها بالتفكير فبعد الشجار الذى وقع بينها وبين غافن أوصلها ورحل الى منزله بعد أن قطعا الطريق فى صمت مشحون بالتوتر. جاء كولن فى تلك المسية، وحاول كولن أن يطوقها بذراعيه لكن جين صدته. لم تكن تعرف لماذا بالتحديد، لكن ربما كان ذلك انعكاسا لما حدث مع غافن.

كان ماك موجودا أثناء زيارته كولن وقبل أن يرحل طلب من جين أن ترافقه حتى السيارة تاركين جون فى حجرة الجلوس سعيداً وقد استنفذ قواه فى لعب الشطرنج مع ماك وبدا فى تحسين واضح. بادرها قائلاً:

«ابلغتك ميغان إننى ألح كثيراً على جون أن يعرض نفسه على أخصائى لاجراء الفحوص والاختيارات اللازمة. غنه يصاب بنوبات شبيهة بشلل مؤقت وقد جربت معه أدوية عدة، لكنى لست متخصصاً فى هذا النوع من الأمراض، ربما تنجحين فى إقناعه.»

«أعدت يا ماك أن أبذل قصارى جهدى.»

www.elromancia.com

ربت على كتفها وقال:

«أنا متاكد من ذلك يا فتاتى. كم من الوقت ستقضين هنا؟»

«ربما شهر لكنى أعتقد أننى قد أبقى لفترة أطول. فأنا أحببت والدى. وهو يطلب منى أن ابقى.»

«أنا آمل أن تفعلى ذلك يا جين. فقد تغير بافعل. رأيت ذلك بنفسى اليوم. إنه رجل وحيد برغم اصدقائه الكثيرين. قبل مجيئك كان يعيش فى فراغ. حتى لوحاته أصبحت ضعيفة، وتلك مأساة لمن له موهبته. لكنه الآن، يبدأ من جديد. عثر على ابنته- واصبح لديه من يعيش أجله. وكلما أسرعت بتعليم القيادة كان ذلك أفضل. لأنك عندئذ ستتمكنين من أن تأخذيه فى نزهات وبالمناسبة، كيف كان درس القيادة مع غارفن لم أشأ أن أسألك فور عودتك، فقد كنت شاردة الذهن قليلاً.»

«غافن يقول إننى أتقدم على نحو طيب ولكن»

أمسكت عن الحديث فبادرها قائلاً:

«لكنه مغرور ودكتاتور.»

«لم أقل ذلك...»

«ليس هناك حاجة لأن تقولى، فبوسعى أن أرى ذلك بنفسى. أعرفه أكثر من أى شخص آخر عرفت والدها أيضاً لسنوات طويلة. نحن نتوافق جيداً وأنا أحبه وأحترمه فهو مستقيم صادق بمعنى الكلمة. وهو رجل عظيم تجدينه الى جوارك إذا احتجت إليه لكنى أستطيع أن أرى اخطاءه أيضاً. اعتاد منذ صغره ان يكون مطاعاً. ربما لم يكن هذا

خطأه هو. فذلك تأثير المال- ليس على من يملكه بل على من حوله. فهم يرتعدون خوفاً من إغضابه. لكن أنت يا جين ولا تدعيه يستأسد عليك.»

«لن أدعه يفعل ذلك. وان كنت أرى هذا من الصعب.»

أحست أنها تحب ذلك الاسكتلندى الصريح وتثق فيه فاستطردت قائلة:

«عشت مع خالتى منذ مجيئى الى هنا أدركت كم كانت على خطأ. أعتقد أننى أشمئز منه بسببها. أتعرف ما أعنى؟»

«لست طبيباً نفسياً، لكنى أعرف ما تقصدين. ستكونين يا جين ذات فائدة كبيرة لوالدك وربما لغافن أيضاً.»

بتلك الكلمات ودعها ماك ضاحكا.

فى صباح اليوم التالى كانت جين على أهبة الاستعداد. طلب منها ماك أن ترتدى شيئاً يسهل غسله ونزلت تنتظر غافن.

قدمت لها إلن فطوراً دسماً وهى تقول:

«ستكونين مشغولة طوال الوقت يا عزيزتى. كلى جيداً فستكونين فى حاجة الى كل قوتك.»

سمعت جين طرقاً على الباب، فنهضت مسرعة محاولة الانتهاء من فطورها على عجل.

«لا تضطربى، ففى وسع السيد غافن أن ينتظر لحظة.»

قالت مديرة المنزل هذه الكلمات وهى تتجه نحو الباب مدمدمة فى

www.elromancia.com

استياء.

كان غافن يقف قرب السيارة مع إلن. نظر اليها ملياً قبل أن يحييها بفتور.

قاد السيارة عبر الممر، بينما كانت إلن ترقبها، ولوحت لهما ثم استدارت متجهة الى داخل المنزل.

سألته جين وهى ترتجف:

«الى أين نحن ذاهبان؟»

«سترين بنفسك.»

جاء رده مقتضباً. جين وكأنها قد وضعت كيانها كله فى حال تأهب. فمن الأفضل أن تتم هذه المواجهة بسرعة. قطع عليها أفكارها قائلاً:

«قد تخيب المدرسة آمالك. فلن تجدى هناك سوى نساء وأطفال.»

قال ذلك ثم راح ينظر اليها فى امعان، فأحست بالغضب يجتاحها لكنها تمالكت اعصابها وقالت:

«أنا لا أفهمك.»

«أعتقد أنك تفهميننى، لن تجدى هناك رجالاً لتؤثرى عليهم.»

ضغطت على اسنانها قائلة:

«هل تتعمد أن تكون فظاً؟ إذا كان الأمر كذلك فقد نجحت. لقد ارتديت ملابس قطنية مريحة لأن ماك طلب منى ان ألبس شيئاً يسهل غسله... على كل حال، أنا لست سوى طفلة فى نظرك فلا يهم إذا ما

أرتديه.»

لم تكن متأهبة لرد فعله هذا، فقد تقلصت فجأة عضلات وجهه، وضغط بيديه على عجلة القيادة حتى بدت مفاصلهما بيضاء من شدة التوتر.

ماذا قالت حتى أثارت غضبه بهذا الشكل؟»

قال:

«لست فى حاجة لان تذكرينى بسنك.»

ثم ساد الصمت. صمت طويل مثير للقلق. لقد نجح ردها العفوى فى أن يسكته.

اخترقت السيارة ميناء بورت باتريك، كانت الشوارع ملأى بصخب الحياة وتموج الألوان، بينما سيطر على السيارة جو من التوتر جعل جين تتمنى أن تكون خارجها وسط هؤلاء المارة.

تغير طابع الجزيرة بعد أن خلفا وراءهما المدينة. فقد أصبح أكثر غرابة، بعد أن دنت الجبال من مرأى البصر، وظهرت الحدود والنباتات الاستوائية المورقة بكثرة حتى قاربت أن تتعدى الطريق نفسه. حبست جين أنفاسها أمام هذا الجمال البكر الأخاذ ففى بعض الأوقات قاربت الأشجار من الالتقاء عبر الطريق فبدا وكأنهما يسيران خلال نفق أخضر عال، بينما كانت الشمس تخترق بين حين وآخر فروع الشجر الكثيفة بوهج أصفر لامع كالماس. أبطأ غافن من سرعة السيارة، فرأت من خلال الأشجار عدداً من الأبنية المنخفضة المستطيلة، سقفها من الحديد المضلع، وقد طلى باللون الأبيض ليعكس الحرارة. كانت سيارة

www.elromancia.com

ماك تقف فى ظل شجرة فأوقف غافن سيارته وراءها قائلاً:

«ها قد وصلنا.»

كانت جين تتساءل ماذا يمكن أن تراه هنا فى المدرسة؟ بادرها قائلاً وكانه قرأ أفكارها:

«أريد أولاً أن أريك شيئاً.»

سار مبتعداً تاركاً جين تتبعه وسط وسط شجيرات كثيفة تعلوها ورود ناعمة ناصعة البياض ذات رائحة قوية. سارت جين خلفه وقد زمت شفتها فى تحد. فجأة اقتربا من أرض خالية فوصل الى سمعها صوت خرير المياه الذى أكسب تلك البيوت الصغيرة المتراصة فى شكل شبه دائرى جواً من السحر. اصطفت بطول الجدران شجيرات أزهار زاهية الألوان ومروج صغيرة رويت بعناية للمحافظة على خضرتها الناضرة بينما طلى كل منزل بلون زاه، وفتحت النوافذ على مصراعيها لادخال أكبر قدر من الهواء.

توقف غافن واستدار ناحيتها متسائلاً دون أن ينم تعبير وجهه عن شئ:

«هل أنت جاهزة الآن؟»

«جاهزة لماذا؟»

رفع حاجبه فى سخرية قائلاً:

«لتعرفى ما أسفرت عنه زيارة المرأة الصينية لغرفة التعذيب!»

ودون أن ينظر وراءه مرة ثانية توجه نحو أقرب باب وطرقه.

خفق قلب جين بقوة عندما فتح الباب. فقد تقدمت مجموعة من الأطفال واثنين أو ثلاثة من الشباب الصينيين نحو غافن وأحاطوا به بينما رأت وجهاً مألوفا يقف فى مدخل الباب وقد تصاعدت جلبة من الصوات جميعها تحيى غافن. رفعت المرأة العجوز يدها بحركة تحية وقد علت وجهها ابتسامة عريضة.

تقدمت المرأة الى الأمام ببطء ثم انحنت باحترام وصافحته. استدار غافن نحو جين كانت نظرته ملأى بالتحدى. ثم بدأ يتحدث برقة إلى المرأة التى أومأت ثم أدارت عينين براقتين نحو جين وقد اتسعت ابتسامتها لتكشف عنأسنانها الذهبية.

لم تكن تتحدث الأنجليزية فتولت حفيدتها ترجمة ردها على تساؤلات غافن قائلة:

«إن جدتى ترغب فى أن تشكر لك اهتمامك. فلولا وجود السيد غرانت فى المطار لما استطاعت المجئ الى هنا.»

بلغت جين ريقها محاولة الابتسام وهى منتبهة تماماً الى نظرة غافن الساخرة المثبتة عليها حين مضت الفتاة تقول:

«نعم. جاءت جدتى وحدها من سايغون- وفقدت نقودها وجواز سفرها. كان موظفو المطار على وشك استدعاء البوليس، لكن غرانت طلب منهم العناية بها، وضمن لهم أن يقوم هو بالتحقيق من صدق روايتها عندما يصل الى سارامنكا ثم يعود الى الاتصال بهم تليفونياً على أن يقوموا فى هذه الأثناء بتقديم الطعام لها على نفقته، إذ إنها كانت تشعر بجوع شديد بعد أن أمضت ساعات انتظار طويلة فى

www.elromancia.com

المطار.

تصاعدت الأصوات من جديد. وبدا غافن وكأنه يرفض دعوتهم له بالدخول، كانت يداه ترتفعان فى حركات معبرة عن الاعتذار وهو يتقهقر الى الوراء، تصحبه عاصفة من كلمات الوداع. تأبط غافن ذراع جين ليعودا أدراجهما وسط الشجيرات الكثيفة.

وفى منتصف الطريق، توقف قائلاً:

«هل أنت مقتنعة الآن بأننى لست مجرماً مستبداً؟»

استدارت جين نحوه قائلة:

«لقد تسليت بما فيه الكفاية. نعم، ماذا تريد منى، هل تريد أن أركع امامك ألم يكن فى وسعك أن تكتفى بأن تقول الحقيقة؟»

قال لها بلطف:

«هل كنت ستصدقيننى؟ كنت أريدك أن ترى بنفسك حتى تعرفى الحقيقة، وتدركى أن الأشياء ليست بالضرورة كما تبدو.»

«ربما كان عليك أيضاً أن تحاول تذكر ذلك.»

«لقد قلت شيئاً كهذا من قبل. ماذا تقصدين؟»

ردت فى غضب قائلة:

«ربما. لكنى أريد سماعه منك.»

«إذاً عليك أن تنتظر حتى أكون مستعدة لذلك. جئت لأعمل وأنا واثقة من أن ماك ينتظرنى.»

راح غافن يحدق فى وجهها. شعرت فجأة بأنها لم تعد تخافه. كان إحساساً غاية فى الغرابة، أحست وكانها تعيش تجربة جديدة، مع هذا الرجل المغرور وعرفت أنه هو أيضاً أحس بالشئ نفسه، ذلك الشئ الذى لا يمكن وصفه.

استدارت جين ووصلت المشى، كانت تعرف أن شيئاً قد تغير فى تلك اللحظة.

رأت جين المدرسة، كان الأطفال قد وصلوا بالفعل فصحبها ماك اليهم. بناء المدرسة مماثل للأبنية الأخرى التى رأتها منذ قليل: منخفضة مستطيلة خشبية ذات سقف حديدى مضلع قابلتها سيدة لطيفة وقد تبعها أطفال يرتدون زياً موحداً. كانت بشرتهم بلون العسل، عيونهم سوداء، وقد بدوا جميعاً يفيضون سعادة.

بادرت السيدة قائلة قبل أن يكون لدى ماك فرصة لتقديمها:

«اسمى آن موراى، سعدت بلقائك.»

صافحتها جين ضاحكة وهى تقول:

«آسفة إننى لا أعرف شيئاً عن مدارس الحضانة.»

«لكنك ستتعلمين أنا واثقة من ذلك.»

نظرت السيدة موارى الى شورت جين بنظرة استحسان قائلة وهى تنتهد:

«كنت أود ان يكون فى وسعى ارتداء الشورت لكن زوجى يقول غنه ليس مناسباً لسنى.»

www.elromancia.com

قال ماك مداعباً:

«إنه يخشى أن يلتف الرجال حولك. اسمحا لى بالرحيل فلدى عملية جراحية فى المدينة، سأعود فى وقت آخر.»

لفتت السيدة مورای حولها قائلة:

«تعالى معى يا آنسة نتجول فى ارجاء المدرسة»

تضاحك الأطفال فى مرح، وركض بعضهم الى الأراجيح بينما وقف البعض الآخر يراقب فى صمت. تقدمت نحو جين طفلة صغيرة وقد وضعت اصبعها بعزم فى فمها. ثم أخرجت اصبعها من فمها رافعة ذراعيها الى أعلى نحو جين وهى تقول:

«من فضلك إحملينى.»

انحنت جين ورفعت الطفلة الصغيرة بين ذراعيها فابتسمت السيدة مورای قائلة:

«هذه هى ميلانى ستطلب منك أن تحمليها طوال اليوم، فاذا لم تكونى حازمة معها فان ذراعيك سترهقان.»

طوقت ميلانى عنق جين ضاحكة بيد متسخة قليلاً، فعرفت جين ماذا كان يعنى ماك عندما طلب منها ارتداء ملابس يسهل غسلها، وقالت الطفلة:

«أنا أحبك. انت صديقتى.»

عند الظهيرة أحضر رجلان أوعية طعام ضخمة، وجلس الطفال الى الموائد يأكلون. وتناولت آن و جين وجبتهما مع الاطفال.

وبعد ذلك خلد الأطفال الى الراحة وأطلقت ين زفرة ارتياح بعد أن وضعت آخر طفل فى سريره ونظرت الى الأسرة الصغيرة المصطفة وقد رقد فى كل منها وجه صغير. نظرت الى جين قائلة:

«أمامنا ساعة للراحة، تعالى، لتناول قهوة مثلجة وندخن سيجارة تحت تلك الشجرة. فنحن فى حاجة الى قيلولة قصيرة.

جلست آن وحين تثرثران فى تراخ تحت ظل شجرة متلوية ضخمة كانت أوراقها تصدر حفيفاً وسط نسمة خفيفة. سمعت جين صوت سيارة قادمة وتساءلت إذا كان ماك قد عاد ثم نسيت الأمر عندما بادرتها آن قائلة:

«يجب أن تحضرى حفل الزفاف يوم السبت.»

«هذا كرم منك، أشكرك. هل سيحضر والدى الحفل؟»

هزت آن كتفيها قائلة:

«لا نعرف بعد، ماك سيخبرنا بذلك. ولكن حتى لو لم يحضر، يجب أن تأتى أنت. غافن يمكن أن يحضرك، أنا واثقة من ذلك.»

«شكراً لك سأحدث ميغان بذلك حين أراها.»

مر الوقت بسرعة وبدأ الأطفال يستيقظون بادرتها جين متسائلة:

«هل يشتغل آباء الأطفال جميعاً فى مصنع التعليب؟»

«نعم، أو فى مجمعات تخزين جوز الهند. فنحن لدينا مشروع تصدير جوز الهند وليفه المستخرج من القشرة الخارجية وهو يستخدم فى صناعة الحصير وأشياء أخرى. وعندما يتسع المشروع معاً. ألم يخبرك

www.elromancia.com

أحد بذلك؟ إن المصنع ملك لغافن كما ملكاً لوالده من قبله وماك يقدم له النصح فيما يتعلق بالشؤون الصحية والتأمينات و شروط العمل. تمكنا من رفع مستوى المعيشة فى الجزيرة بشكل ملحوظ مما مكن الأمهات أن يعملن هنا وهن واثقات من أن أطفالهن فى أمان.»

لم تكن جين تصغى اليها تماماً. فقد عادت الى ذلك الحوار الذى دار فى بيت والدها. وعرفت الآن لماذا قاطع غافن ماك فى تلك اللحظة. وفيما بعد، عندما كانا فى المطار، كان بوسعه أن يقول لها الحقيقة لكنه لم يفعل.

دخلتا الى المدرسة وبدأتا توقظان من بقى نائماً من الأطفال. قفزت ميلانى واتجهت نحو جين ثم دست يدها الصغيرة فى يد جين.

ابتسمت آن قائلة:

«أصبحتما الآن صدقين.»

«إنها فتاة طيبة.»

«سأدعك تكشفين ذلك بنفسك.»

جلست جين تلعب مع الأطفال فى ملعبهم، ثم تذكرت كلمات آن تلك فتلفتت حولها لتتأكد من أن كل شئ على ما يرام. نهضت مسرعة وقد استدارت صوب المدرسة منادية:

«ميلانى؟ هل هى عندك؟»

ظهرت آن فى مدخل الباب قائلة:

«كلا، هل حدث هذا مرة ثانية؟ متى رأيتها لآخر مرة؟»

«منذ دقيقة واحدة، كانت تلعب فى حفرة الرمال.»

«جربى هذا الطريق بينما أبحث عنها وراء المدرسة.»

أسرعت جين نحو الطريق وسط شجيرات متشابكة وقد غمرها ذعر مفاجئ. اكتسى المكان بالعشب- فكان يمكن للفتاة الصغيرة أن تكون فى أى اتجاه. دارت حول نفسها ثم هوت وقد أحست بالدوار بعد أن تعثرت قدمها.

نهضت متجاهلة الألم فى كاحلها وركضت وهى تنادى صارخة:

«ميلانى، ميلانى أين أنت؟»

توقفت فجاة بعدما اقتربت من الساحة الأخرى المؤدية الى المصنع التى كانت تقف فيها سيارة ماك. لكنها لم تر سيارة ماك، بل كانت سيارة غافن وقربها رأت وجهين مألوفين. استوعبت جين ذلك المنظر فى ارتياح مفاجئ، لم تعرف فى تلك اللحظة أن منظر هذين الوجهين سينطبع فى ذاكرتها الى الأبد.

كان غافن منحنياً ليحمل ميلانى. رأت ذلك الرجل الطويل القامة وهو يؤرجح الطفلة الصغيرة البريئة، كانت تسمع صرخاتها الضاحكة كما سمعته يقول:

«أين أنت ذاهبة يا ميلانى؟»

رأى جين فجاة، فتوقف. تقدمت وهى تئن من الألم كلما وضعت قدمها اليسرى على الأرض. تقلص وجه غافن عندما خفض نظره الى قدمها فبادرها متسائلاً:

www.elromancia.com

«هل كنت تركضين؟»

«نعم، أشكرك لأنك أوقفت ميلانى. دعنى أعيدها الى المدرسة.»

«من الأفضل أن أقوم أنا بذلك فأنت لا تبدين على ما يرام. هل تؤلمك قدمك؟»

«كلا.»

كانت تكذب، واستدارت عائدة. كل خطوة كانت عذاباً لكنها كانت عازمة على ألا تجعله يرى ذلك.

ظهرت آن ورأت جين فحملقت فيها قائلة:

«ماذا حدث لك؟»

قال غافن:

«أعتقد أنها فى حاجة الى بعض الاسعافات الأولية.»

انزل ميلانى من بين ذراعيه قائلاً:

«اذهبى أيتها الفتاة الشقية. لا تهربى مرة ثانية والا ضربتك.»

أخذت ميلانى تقفز بعيداً وهى تقهقه بصوت مرح. ثم ركضت لتنضم الى رفاقها.

تقدمت آن نحو جين يخذة بذراعها وهى تقول:

«أجلسى فى الداخل. سأذهب لأحضر ماء مثلجاً. لونك شاحب.»

امتثلت جين فى صمت. فلم يكن أمامها خيار آخر برغم احساسها بوجود غافن، فهى تعرف انه ليس فى وسعها أن تظل واقفة كيلا

تتعرض مرة اخرى للغثيان.

سمعت آن تقول شيئاً لغافن بصوت مرتفع، لكنها لم تعى الكلمات، ثم وجدت نفسها جالسة فى أحد مقاعد الأطفال الصغيرة.

قالت آن:

«تورم كاحلك كالبالون، يجب أن نحضر ماك ليرى الحل المناسب. ألا تظن ذلك يا غافن؟»

ركع أمام جين ثم رفع رأسه مؤيداً كلام آن:

«نعم. لكن أمامنا بعض الوقت قبل أن يحضر، سأضمد الجرح أولاً. أين صندوق الاسعافات الأولية يا آن.»

اختفت آن فى حجرة مخزن صغيرة فقال غافن برقة:

«لماذا أنكرت أن كاحلك يؤلمك عندما سألتك؟»

«أنا لا احب استثارة شفقة أحد.»

ضغط على شفتيه قائلاً:

«لم أقل أنك كذلك ولكن كم أتمنى لو لم تكونى...»

لم تعرف قط ماذا كان ينوى أن يقول اذ دخلت آن فى تلك اللحظة حاملة الاسعافات الأولية.

كانت يدا غافن رشيقتين سريعتين وهو يضمد كاحل جين بمهارة. اختلطت مشاعر جين بين احساس بالراحة بعدما خفف الضماد البارد آلامها وبين الخوف من ذلك الاحساس الغريب الذى أحدثته لمسة يده.

www.elromancia.com

قالت بعد أن انتهى من تضميد قدمها:

«شكراً.»

«هذا من دواعى سرورى. من الأفضل أن أصحبك إلى المنزل، أليس كذلك؟»

«كلا شكراً، أفضل أن أبقى مع الأطفال.»

«كما تشائين يا جين. لم تبق سوى ساعة واحدة فقط على موعد انصراف الأطفال.»

رفعت آن يدها الى فمها قائلة:

«يا إلهى، يجب أن أعطى اللبن للأطفال.»

«سأتولى الأمر عنك.»

عاد غافن و آن بأبريق من القهوة المثلجة ووعاء كبير من اللبن وبعد أن قدما الحليب للأطفال الذين اصطفوا استجابة لتعليمات غافن، جلست جين و آن وتناولتا مشروبهما المثلج. أما غافن فقد ظل فى الخارج.

همست آن قائلة:

«إنه رائع مع الأطفال، إنهم يفعلون أى شئ من أجله.»

لم يكن فى وسع جين إلا أن توافق على ذلك وهى ترى الأطفال يناولون غافن فى هدوء اكوابهم الفارغة:

«انهم يطيعونه، لانه يرعبهم»

ندمت على ما تفوهت به فى الحال. وضحكت آن قائلة:

«لا أعتقد ذلك. فهو عندما يجئ الى هنا يختلف تماماً عما هو عليه فى عمله. هنا يصبح على طبيعته أعتقد أنه واحد من هؤلاء الرجال الذين لا يخشون أن يظهروا بعض الرقة من حين الى آخر. فمعظم الرجال. يعتقدون أن هذا يتنافى مع رجولتهم، أما غافن فلا يهتم برأى الناس فيه.»

رشفت جين قهوتها ببطء لم تكن تريد أن تعرف شيئاً عن وجهه الآخر. لكنها برغم ذلك وجدت نفسها تراقبه وقد انحنى يداعب أحد الأطفال، منكب على ما يقوله الآخر دون أثر لتلك العجرفة المعتادة فى وجهه.

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى تساءلت فيها جين عما إذا كانت سارة تاتى الى المدرسة. لم تجد الوقت مناسباً لتسأل، فقد كان غافن آتياً يحمل مجموعة من الاكواب الفارغة الى حوض الغسيل.

بادر آن قائلاً:

«سأقيم سوراً حول تلك المساحة من الأرض، حتى لا يتكرر حادث ميلانى.

«انها فكرة جيدة وستسهل مهمتنا.»

«سأعمل على تنفيذها فى الحال.»

نظر الى ساعته وقال:

«أنا ذاهب الآن لأرتب بعض الأمور المتعلقة بهذا الموضوع.»

www.elromancia.com

قالت آن وهى تهز رأسها:

«هذا هو غافن، لا يكاد يقول شيئاً إلا و يفعله. من المؤسف أننى لن أكون هنا غداً لأراقبه وهو ينفذه.»

عاد غافن بعد قليل ومعه اثنان من سكان الجزيرة يحملان المعاول. رأته جين و آن يشير الى عدد من النقاط ويخطط بالعصا فى الأرض الرملية وسط انبهار الأطفال. ثم تقدم نحوها قائلاً:

«اتصلت تلفونياً بالمدينة من مكتب المصنع. ستحضر سيارة نقل بعد نصف ساعة وفيها كل ما نحتاجه. وفى هذه الأثناء سنبدأ حفر الاساس. فاذا سمحتما، أبعد الأطفال عن طريقنا.»

وبحركة رشيقة، خلع قمصه وألقى بها على أحد المقاعد. كانت بنيته قوية فكتفاه كبيرتان بعضلات قوية، وصدره عريض مغطى بشعر أسود كثيف. برقت القلادة الفضية المدلاة من عنقه وهو يتحرك متجهاً نحو الخارج. غضت جين بصرها. ثم شعرت بارتياح عندما قالت آن:

«يا له من رجل متواضع شجاع. لا غرابة فى أن كل فتيات الجزيرة يتمنين صداقته.»

قالت جين وهى تحاول الضحك:

«حقاً؟ لكنه مرتبط أليس كذلك؟»

«تقصدين سارة؟ أعتقد أنها تاتى فى المقدمة. انها تسعى الى ذلك بلا شك. لكن غافن عامل و متزن و مراوغ. ألم تلتقى كاى بعد؟»

«كلا، هل كانت فى حفلة سارة الأسبوع الماضى؟»

«كلا! فهما لا تتبادلان الحديث لأسباب واضحة بالطبع كاى سيحضر حفلة زفاف شيرلى ويمكنك أن تلتقيها هناك.»

نظرت جين الى حيث بدأ غافن عملية الحفر. فقد كان ذلك أمراً مثيراً بالفعل، كان يعمل بحركات قليلة سريعة تكشف عن تمرسه.

تساءلت جين قائلة:

«لماذا يفعل هذا بنفسه أتصور أنه يستمتع بمثل هذه التمرينات، فقد كان رياضياً قديماً قبل أن يموت والده و يتولى هو كل مسؤولياته. أعتقد أنه يريد أن يحتفظ بمظهره كما أن العمال يتفانون فى عملهم متى رأوا رئيسهم يشاركهم فيه.»

«قال لى ماك ان غافن يعرف يعرف كيف يقاتل، ولكن لم يقل لى كيف كان ذلك؟»

«تلك القصة انتشرت فى الجزيرة كلها فى ذلك الحين. بعدما تولى تبعة المصانع اثر وفاة والده مباشرة. كانت هناك بعض المشاكل بين العمال ثم تطورت الى معركة. ووصل ماك و غافن عندما كانت المعركة فى أوجها. ألقى غافن نظرة خاطفة، ثم وقع اختياره على زعيمى المجموعتين المتصارعتين، خاض فى الكتل المتصارعة وسط اللكمات المتطايرة وفى لحظات أفقدهما الوعى، فتفرق الجمع تلقائياً.»

كانت عينا جين مثبتتين الآن على غافن الذى لم يكن يدرى طبعاً أن الحديث كان عنه بالذات. أحست جين، بأنها بدات تعجب بالفعل بشخصية غافن كل يوم تسمع شيئاً جديداً عنه يجعلها تكتشف مزاياه وحسناته ومدى ما يتمتع به من نفوذ فى الجزيرة. نهضت جين، وقد

www.elromancia.com

أحست بالقلق فجأة، خطت ببطء وحرص الباب. توقفت خجلة على وشك ان تعود أدراجها بعد أن أحست بعينى غافن مثبتتين عليها . فى تلك اللحظة سمعت رنين الجرس يدعو الامهات إلى تسلم اولادهن.

كان غافن يغرز الجاروف فى الأرض الصلبة وتقدم نحوها قائلاً:

«انتهى يوم عملك، هل أنت حقاً سعيدة؟»

نظرت اليه جين ببعض الإعجاب قائلة:

«لقد استمتعت به.»

«هل ستأتين مرة ثانية؟»

«نعم، لماذا لم تقل لى هذا المشروع ملكك؟»

«هل عرفت؟»

«نعم.»

حاولت الوقوف، فأمتدت يده فجأة تمسك بذراعها، أحست بالاضطراب فابتعدت قليلاً هى مازالت تنظر اليه.

«تصورت انك لن تقدمى مساعدتك لى إذا عرفت ذلك.»

ثم أضاف فى رقة:

«هل كنت ستقدمين لى مساعدتك حقيقية؟»

«لا أعرف.»

تمنت لو لم تكن أجابت بهذه السرعة.

«ألم اقل لك إذاً...»

وفجأة توقف عن الكلام ثم قال:

«سمعت شيئاً. إما أنه الاتوبيس أو أن الأشياء التى طلبتها للسور وصلت، اسمحى لى.»

مشى بخطوات واسعة نحو الطريق ثم جاءت آن وقالت:

«الى أين ذهب؟»

«ليرى من الذى وصل»

ظهر ماك وسط حشد من النساء، بثياب زاهية الألوان يثرثرن، ويلوحن لأطفالهن. ثم ذهب الجميع ليسود الصمت.

تلفتت آن حولها قائلة:

«انقضى يوم آخر يا ماك. أدت جين دورها جيداً.»

«كنت أعرف أنها ستفعل ذلك.»

نظر ماك إلى قدم جين وقال:

«ماذا كنت تفعلين يا سيدتى الصغيرة؟»

«كنت أطارد الصغيرة ميلانى ثم زلت قدمى.»

«يبدو أنها صمدت جيداً. سأراها عندما نصل الى المنزل. هل أنت مستعدة للذهاب يا جين؟»

ابتعدت جين و ماك عن المدرسة رويداً. لم يكن هناك أثر لغافن. وعندما اقتربا من سيارة، كان يقف يتحدث مع سائق عربة نقل وعندما رآهما تقدم نحوهما. نظر الى جين قائلاً فى هدوء:

www.elromancia.com

«شكراً على مجيئك يا جين أنا أقدر اهتمامك و مساعدتك.»

كانت كلماته هذه المرة لها وحدها، وكان ماك غير موجود. لمحت جين شيئاً فى عينيه. شعرت بالدفء و الاطمئنان. تبادلوا كلمات الوداع ثم استقلت جين سيارة ماك. أمسك غافن بباب السيارة كى تجلس ثم أخذ يتحدث مع ماك فى الجانب الأخر من السيارة. كانت تسمع صوتهما لكنها لم تفهم شيئاً. سيطرت على مخيلتها النظرة الحانية فى عينى غافن. تشبثت جين بحقيبة يدها وأحست برغبة فى البكاء دون أن تعرف سبباً لذلك.

٨- كابوس الليل والنهار

مر اليومان التاليان بطيئين. فقدت جين شهيتها للأكل فأرجعت ذلك الى حرارة الجو والألم الذى تحسه فى كاحلها.

اقترب موعد حفلة الزفاف. وفى أمسية يوم الأربعاء كانت تجلس مع أبيها فى طرف الحديقة، على مرأى من البحر بعدما هب نسيم منعش رطب الجو. كانا ينتظران ميغان وكولن على العشاء. قررت جين أن تكون بالغة الرقة مع كولن. فهى تجده لطيفا كما أنها تعرف أنه متعلق بها. هذا الشعور كان كافيا لاسعادها لو أن عاطفتها لم تتبدل. أما الآن، ولسبب لا تعرفه تماما فهى تتمنى لو لم يكن متعلقا بها. لم يكن فى وسعها أن تفهم مشاعرها أو تحللها. تساءلت لماذا لم يأت غافن منذ الأحد الماضى. هى لا تبالى بالأمر، لكن كان عليه أن يحضر ليرى ماذا جرى لكاحلها. غير أنه لم يحضر وقد ظل هذا الخاطر عالقا بذهنها. بادرت أباها قائلة:

«هل سنذهب الى حفلة زفاف شيرلى ياأبى؟»

«نعم، وأنت ستكونين معى، أعتقد أنى سأذهب. سنسأل ميغان اذا كان ممكنا أن نذهب معهما، أعتقد أنها وصلت مع كولن.»

www.elromancia.com

أقبلت ميغان ومعها كولن وتبادلا الجميع تحية ودية. جلس كولن القرفصاء قرب مقعد جين وفى بشاشة بادرها قائلا:

«كيف حال كاحلك. هل تحسن الآن؟»

«تحسنت كثيرا. كنا نتحدث الآن عن حفلة زفاف شيرلى.»

«هل ستذهبان؟»

تدخل والدها قائلا:

«نحن نريد أن نذهب، و نأمل أن يتطوع أصدقاء طيبون بنقلنا الى هناك.»

رت ميغان بسرور:

«سنكون سعيدين بذلك. ماذا ستريدين يا جين؟»

«لم أفكر بعد.»

قاطعها أبوها:

«هذه ليست مشكلة، يمكنك أن تشترى ثوبا جديدا.»

بادرته جين قائلة:

«لكنى لا أريد.»

قاطعتها ميغان:

«أعرف ذلك، لنعد لك ثوبا بالشرائط الحريرية المعروفة فى سارامانكا.»

احتجت جين قائلة:

«لا يمكنك ذلك، فهذا يستغرق وقتا طويلا.»

«اليوم الأربعاء سنشترى غدا كل ما يلزمنا وسيكون الثوب جاهزا يوم الجمعة.»

نظر اليها والد جين بود قائلا:

«إن حياكة ميغان معروفة للجميع، أنا أثق فى ذلك.»

«-ذا كرم منك يا ميغان لكن هل أنت واثقة؟»

«كل الثقة. صباح غد سأصحبك لنشترى كل ما يلزمنا من محل غافن.»

«من يتحدث عنى؟»

التفت الجميع ليجدوا غافن ومعه كلبه.

فجأة شعرت جين بأنها تريد الفرار السريع الى مكان ما، الى أى مكان بعيدا عنه.

بدأت ميغان تعيد سرد ما كانوا يتحدثون عنه. وأحست جين بانسحاب كولن الصامت من جوارا بينما أرتمى كارلو باسترؤخاء مكانه دافعا أنفه الرطب فى يد جين. ربتت على رأسه بينما كانت تصغى الى غافن:

«جئت أطلب خدمة من جين. ولكنى لا أستطيع أن أطلب ذلك الآن.

«ماذا تريد؟»

جاء صوتها عاديا، أو هكذا بدا، فى حين كانت ترتجف من الداخل.

www.elromancia.com

«أن تعمل بمفردها غدا فى المدرسة فهل بإمكان جين مساعدتها.»

إذا هو سبب مجيئه كان يجب أن تعرف نظرت الى ميغان فى حيرة فبادرتها الأخرى قائلة وهى تضحك:

«الأمر متروك لك يا عزيزتى. يمكننى أن أشترى أنا كل ما نحتاج اليه إذا رغبت فى ذلك.»

تدخل غافن قائلا:

«استطيع أن آلآخذ جين الى المحل فى الثامنة صباحا لتختار ما تريده. هذا إذا كنت ستذهبين الى المدرسة يا جين.»

«أنا مستعدة للذهاب.»

فكرت جين وهى فى فراشها بأن غافن يل دائما الى أغراضه. حدث يبدو الأمر بشكل طبيعى لكنها الآن أدركت كيف أنه يحقق أهدافه بسهولة. فالجميع يوافقون بحماسة على مخططاته. أخذت تتقلب فى فراشها بقلق وقد سيطرت عليها فكرة واحدة وهى أنه سيصحبها الى محله ثم الى المدرسة. وقد وافقت على ذلك صاغرة. كيف حدث هذا وهى التى قررت أن تتجنبه.

وقبل أن تستلم للنوم كان وجه غافن هو آخر رؤية تفرض نفسها عليها. وجه غافن بالصورة التى بدا عليها عندما كان منحنيا على وشك التقاط ميلانى بين ذراعيه. فقد بدا مختلفا تماما.

فى الصباح، عندما كانت ترتدى ثيابها وتمشط شعرها أدركت أن مقامها فى ساراماناكا لم يدم أكثر من أسبوع. لقد بدا ذلك مستحيلا. فهى تحس أنها عاشت هنا منذ زمن بعيد وكأن الجزيرة باتت جزءا من

حياتها. قريبا سيكون عليها أن تختار، وهى ليست واثقة بعد ماذا سيكون اختيارها. فهى تود البقاء مع والدها، لكنها لا تزال مترددة، فهناك احساس دفين بحب البقاء يؤكد لها ضرورة الرحيل، قبل أن يفوت الأوان، لكن أوان ماذا؟ انها لا تدرى ولا يمكنها أن تتكهن به؟

استيقظ والدها مبكرتا وقد بدا وجهه مسترخيا مليئا بحيوية لم تشهدها من قبل. حياها ثم بادرها قائلا:

«أعتقد أنى سأخرج للتمشية قليلا اليوم. فأنا أشعر بتحسن ملموس.»

«هل أذهب للتريض معك؟»

«كلا، فهم يحتاجون اليك فى المدرسة- أنا سعيد لأنك ستذهبين.»

لم تعرف جين ماذا تقول. كلماته الصادقة الهادئة تجعلها عاجزة عن الرد. حبها يتضاعف يوما بعد يوم لوالدها، إنها تشعر بالندم على السنين التى قضتها بعيدة عنه. ربما كان القدر هو الذى أخر اجتماع الشمل. ربما كان الآن هو الوقت الأفضل لذلك. قالت:

«أرى أنك تبدو أحسن حالا الآن. إننى سعيدة بذلك.»

«هذا بفضل تأثيرك يا جين. فأنا الآن لدى من أعيش من أجله. لدى من أقول انه ملكى. وأنت كما تمنيت أن تكونى تماما.»

«شكرا.»

لم تزد على ذلك بعد أن خنقتها مشاعرها ثم قالت:

«على أن أستعد. فغافن آت بعد قليل.»

ذهبت الى غرفتها محاولة للجم دموعها. بلا جدوى لا تريد أن يراها غافن على تلك الصورة. وبالفعل عندما سمعت صراخا على الباب كانت قد تمكنت من تمالك نفسها.

كانا يسيران الآن صوب بورت باتريك. نظر اليها نظرة فضولية وقال:

«هل تشعرين بتحسن ى قدمك؟»

«نعم، شكرا.»

تبدد الآن ذلك الشعور الغريب الذى شعرت به نحوه يوم الأثنين الماضى، وعاودها التوتلار. يبدو أنه أحس بذلك أيضا، فبدأ الحديث عن المدرسة بنبرة موضوعية وكأنه يتحدث مع شخص غريب.كان يبدو جذابا وقد ارتدى قميا من الحرير عقده بشرائط حريرية مطرزة بدلا من الأزرار، تذكرت جن كلمات آن. إن كل فتيات الجزيرة يسعين وراءه. أحست بالسعادة لأنها لم تكن واحدة منهن.

خطر لها خاطر مفاجئ. ترى لماذا طلب منها الذهاب الى المدرسة، ربما هو يأمل فى أن... تصلبت جين فى مقعدها بعد أن داهمتها فكرة مخيفة. فهى لا تنخدع بالرجال، خاصة المجربون من أمثال غافن. كانت الخالة دورثى تشعر بمتعة دائمة فى تحذيرها من أن جميعهم سواسية، يسعون فقط وراء ما يريدون أن يحصلوت عليه. وغافن لا يختل عن باقى الرجال بل قد يكون أسأ منه. فقد اعتاد طوال حياته أن يأخذ ما يريد. وهو يعلم أنه جذاب. ومرغوب وهو يكرهنى ورغم ذلك ينظر إلى أحيانا بطريقة ما، كما أن لمسة يده على ذراعى،

اندفعت إلى ذاكرتها الآن كل الأشياء الصغيرة التى لم تكن تعنى لها شئيا.

«هل هناك ما يزعجك؟»

التفتت نحوه قائلة:

«لا... لا.»

لم تقو عيناها على مواجهة عينيه خوفا من أن يقرأ أفكارها.

كم كانت غبية. تململت فى مقعدها وتمنت لو لم تحضر معه. كان عليها أن ترفض.

«صرت هادئة جدا.»

«كنت أفكر.»

هدأت الآن ضربات قلبها السريعة، يجب أن تتمالك نفسها وإلا فماذا يبقى لها؟

بعد لحظات وصلا الى المحل، كان كل شئ هادئا وكأن المحل مهجور. تمكنت أخيرا من أن تتساءل بنبرة عادية وهما فى المصعد:

«فى أية ساعة يفتح المحل أبوابه.»

«الساعة التاسعة والنصف. فى وسعك أن تلقى نظرة حولك.»

أحست بالراحة عندما توقف المصعد، وقادها عبر قسم ثياب السيدات الذى كان يسوده هدوء شامل.

اخترق غافن الصمت قائلا:

«سأحضر أولا الشرائط الحريرية المطرزة.»

أخذت جين تتجول وسط الرفوف المليئة بالبضائع ثم قالت:

«من الصعب اختيار المطلوب وسط هذه المجموعة الكبيرة.»

«دعينى أساعدك. فأنا أعرف تماما ما تريدين.»

قدم لها بعض الشرائط المطرزة الحريرية قائلا:

«والآن ماذا تريدين تحتها؟ اللون الرمادى أم الأزرق أم الأصفر؟»

«أرنى هذا اللون الأصفر. هل يمكننى أن أراه جنبا الى جنب مع الشرائط. كانت الشرائط رقيقة شفافة تكاد تكون عاجية اللون وقد اكتمل منظرها عندما وضع تحتها الحرير الأصفر اللامع، تنفست جين الصعداءوقالت:

«نعم أعتقد أن هذا هو ما أريد.»

«جربيه عليك أمام المرآة.»

كانت جين تلاحظه يلتقط لفات القماش الحريرى والأشرطة.

جذب القماش الحريرى قائلا:

«أمسكى هذا وضعيه على جسمك.»

كانت جين تشعر بأحساس غريب وقد شعرت بأنها تكاد تترنح. امتثلت لكلماته دون أن تنبس ببنت شفة. أحست وكأن طوقاً محكما يشدد عليها الخناق. انحنى والتقط الشرائط الرقيقة:

«احترسى يجب ألا...»

«أنا أعرف ماذا أفعل.»

جاء صوته هادئا. كانت خفقات قلب جين عالية. كانت تشعر بقلبها وهو يخفق مرتطما بضلوعها عندما استقام غافن ورفع الشرائط المطرزة بعناية فائقة ووضعها عليها. كانت يداه الآن تمسان عنقها وخصوصا وهو يحاول أن يريح الشرائط الحريرية حول جسدها. كان هناك قدر من الحذر فى لمسته وبرغم ذلك أحست وكأنها فى حاجة الى الفرار. أخذت تتحرك فى قلق فبادرها قائلا:

«اهدئى. لماذا كل هذا الاضطراب؟»

رأت صورتهما المنعكسة فى المرآة، كان غافن واقفا وراءها وقد وضع يديه على كتفيها بينما تدلى القماش الحريرى والشرائط فوق جسدها فى رشاقة وجمال. اكتشفت أنها لم تكن تنظر الى صورتها فى المرآة. بل الى صورته هو.

فتقلص حلقها حتى جاء صوتها أجش وهى تقول:

«هذا رائع الجمال. أعتقد أننى...»

«نعم إنه رائع الجمال.»

كان هناك شئ فى صوته جعلها ترتجف وتمنت أن يبتعد عنها. استدارت نصف استدارة فتراجع للخلف وانزلقت الشرائط قليلا. أمسك بها قائلا:

«سأحجزها لك وأسلمها لميغان.»

«شكرا.»

لم تقو جين على النظر اليه. كانت تشعر وكأن رأسها سينفجر من التوتر الذى عاد يسيطر على المكان.

«هل أنت مستعدة للذهاب؟»

«نعم.»

كان هناك قدر من الانفعال فى سلوكه أثار قلقها ماذا فعلت؟

فى طريقهما الى المدرسة أحست جين بصداع حاد. لم يكن هناك ما تستطيع عمله، يبدو أن غافن سارح فى عالمه الخاص. كان يقود السيارة بسرعة، ولم ينظر اليها ولو نظرة عابرة. قبضت بأصابعها على حقيبتها فى تعاسة، كان يجب ألا توافق أن تحضر معه. رفعت يدها الى جبهتها المشتعلة محاولة وقف ذلك الألم النابض. نظر اليها وقال بلا مبالاة:

«ماذا هناك؟»

«عندى صداع قاتل، لكن لا تدع الأمر يشغلك.»

«هناك أقراص مسكنة فى المدرسة سوف أطلبها لك.»

«أنزلنى أمام المدرسة. وأنا أطلبها.»

«كنت أود أن ادخل معك، لكن هذا يكفى.. لدى كثيرا من العمل اليوم. سأمر بالطبع لآخذك فى الساعة الرابعة.»

«ماك يمكنه أن يمر على.»

«كلا، فلديه حالة ولادة فى وسط المدينة.»

زمت جين شفتيها. إنه يبدو وكأنه نادم على إحضارها:

«أسفة لأننى لا أعرف أن أقود السيارة انك تضطر لتغيير برامجك بسببى.»

«أنا سعيد بمساعتك لنا. وأؤكد لك أن نقلك بالسيارة لا يمثل أية مشكلة بالنسبة إلى.»

«أحقا؟»

أشاحت بوجهها بعيدا وهى تبتسم بهدوء. كانت تحس بوحزة ألم فى صدرها. دفعت باب السيارة قبل أن يتوقف تماما أمام المدرسة ثم هبطت وقالت دون أن تنظر وراءها:

«الى القاء.»

سمعت صوت المحرك وقد انبعث فيه الحياة من جديد كما سمعت صوت نفير السيارة، لكنها لم تقو على النظر الى الوراء. تلاشى الصوت متباعدا فتوقفت جين لتلتقط أنفاسها. لم تكن تعرف لماذا ينتابها هذا الشعور الآن، لكن لسبب ما كانت تحس برغبة فى البكاء. أخذت نفسا عميقا وعاودت السير من جديد لتسمع أصوات الأطفال. هنا العودة الى الطبيعة هنا يمكن أن تجد نفسها على طبيعتها. فهى متأكدة من شئ واحد. انها لا تستطيع البقاء مع غافن.

مر الوقت سريعا وجلست آن وجين أثناء فترة الراحة تتحدثان عن حفلة الزفاف. قالت آن أن شيرلى ستتزوج مواطنا استراليا وسيعيشان فى بيرث، وقال:

«أنا واثقة من أنكما ستنسجمان معا يا جين. للأسف أنها سترحل يوم السبت. ليتك حضرت قبل الآن.

www.elromancia.com

روت جين أسباب مجيئها متأخرة بينما جلست آن تصغى فى صمت وقد علا وجهها تعبير غاضب ثم صاحت:

«يا للهول! انه لأمر رائع أن تكتشفى وجود والدك بهذه الطريقة. أن أباك أصبح شخصاً مختلفاً منذ مجيئك.»

مرة أخرى وجدت جين نفسها تفكر فى أبيها. أدركت مع كل يوم يمر انها تنتى اليه. أما بالنسبة الى الخالة دورثى فهى ستبحث عن وسيلة لتعوضها ما بذلت حتى لو كان ذلك يعنى البحث عن عمل، فهذا الأمر يجب أن تتحمله وحدها دون مساعدة من أبيها. حينئذ فقط تتخلص من ذلك الشعور بالذنب الذى ينتابها من حين الى آخر لتركها خالتها وحيدة. سألت آن عن امكان العثور على فرصة للعمل فى الجزيرة وشرحت لها الاسباب واصرارها على عدم اللجوء الى مساعدة والدها فبادرتها آن قائلة وهى تربت على ذراعها:

«أنا أحترم رغبتك للاعتماد على نفسك، ولكن ألم يكن فى نيتك الالتحاق بكلية المعلمات.»

«نعم، لكن تخرجى سيستغرق ثلاث سنوات، أنا أرغب فى العمل فى أحد المكاتب أو فى أى مكان.»

«فى وسعك ان تعملى هنا فى المدرسة. فلماذا لا تسألين غافن اذا كان ذلك ممكناً؟»

«لا أعلم، سأفكر فى الأمر.»

قرب يوم حفل الزفاف. نهضت جين مبكرة وذهبت بنفسها الى منزل ميغان لوضع اللمسات الأخيرة لثوبها.

منزل ميغان يشبه كثيراً منزل جون، كان فسيحاً وأبيض، وأثاثه هادئ وقد تناثرت السجاجيد على أرضيته و الأزهار فى كل غرفة، كل ما فى المنزل يدل على ان ساكنته امرأة ذات ذوق عال قادتها ميغان الى غرفة الحياكة فشهقت جين لرؤية الثوب ثم صاحت قائلة:

«انه رائع يا ميغان!»

«تعالى، جربيه، وبعدئذ سأريك ما لدى من قبعات.»

«كيف يمكننى أن أرد لك هذا الجميل؟»

«إعتبرنى فقط صديقتك المخلصة!»

تضاحكت الاثنتان ثم بدأتا التجربة الأخيرة للثوب.

لم تكن جين قد رأت قد رأت كنيسة الجزيرة، لكنها تخيلتها ذات طابع انكليزى بحت. لذلك كانت مفاجأة لها عندما رأت ذلك المبنى الأبيض البسيط وسقفه القرميدى الأخضر يلمع تحت أشعة الشمس. وينبعث منه رنين الأجراس القوى.

غمر جين شعور بالخجل لحظة وصولها وميغان وكولن. فشتان بين أن تنظر الى نفسك فى المرآة وتشعر بأنك فى مظهر لائق وبين مواجهة عشرات من الأشخاص الغرباء، جميعهم يتسمون بالأناقة والثقة بالنفس. أحست فجأة وكأن ادراكها نشط و متيقظ لكل شئ، وكأن حواسها قد تهيأ لاستيعاب كل ما يدور حولها. اخذت تتحدث وتبتسم بخجل لأصدقاء أسرة موراى. قم انسحبت هى وميغان الى ركن هادئ وسألتها جين بفضول:

«من تكون الفتاة هناك؟»

www.elromancia.com

أشارت جين الى فتاة ذات شعر داكن رائعة الجمال.

«هذه هى كاى والاس. إنها على علاقة متينة مع غافن.»

إذا هذه هى الفتاة التى تحدثت عنها آن! أحست جين بغيظ حاد ولكنها لم تدرك سببه.

تفرق الحشد اذ بدأ الجميع يدخلون الكنيسة. خفتت الثرثرة لينبعث صوت الأرغن الرخيم. لم تكن جين قد رأت غافن بعد. بدأت تنظر حولها، كانت الجدران ذات لون أصفر شاحب والسقف ذا عوارض خشبية داكنة. فى المقدمة جلس رجلان، أحدهما كان شخصاً غريباً، اما الثانى فكان ظهره مألوفاً بشكل محير.

حدثت جين نفسها قائلة، بالقطع كان يجب أن أعرف- غافن هو شاهد العريس. استدار قليلاً ليتحدث الى زميله وقد تباين بحدة، الشكل الجانبى لقسمات وجهه مع الحائط الأصفر. كان وسيماً للغاية فأحست جين وكأن قلبها يترنح فأشاحت ببصرها بعيداً خشية أن يراها أحد تحملق فيه خاصة كولن الذى كان يجلس جوارها.

فى اللحظة التالية بدأ الأرغن يعزف لحن مجئ العروس. المعروف. تحولت الأنظار صوب العروس. إن هناك شيئاً مثيراً للعواطف فى طقوس الزواج تلك. حدثت جين نفسها لكنها وجدت عينيها مثبتتين، لا على العروس والعريس، بل على غافن، لم ينظر وراءه ولا مرة واحدة، لم يرها، لكن جين ادركت أنه يعى تماماً انها تنظر اليه. وبعد مضى دقائق، غجاءت تلك اللحظة المصيرية. حدث ذلك مع انتهاء طقوس الزواج، فقد استدار غافن للحظات، والتقت عيناه عينى جين. كانت

عيناه داكنتين، لاحت فيهما ظلال المسافة الفاصلة بينهما. لكن نظرات الاثنين فى تلك اللحظة كانت وكأنهما كانا وحدهما فى الكنيسة. أشاحت جين بوجهها بعيداً، مرتعشة بل غنها أحست بثقل فى رأسها وغير قادرة على تحمل المزيد. عرفت الآن، إنها تحب غافن غرانت.

توجه المدعوون الى الحفل الذى أقامته أسرة مورای فى منزلها. أخذت جين تثرثر مع كولن وميغان ووالدها، يملة الا تفضحها حركاتها. تقدم غافن نحوهم محدثاً ومعه كاى فشعرت جين بالألم بينما كانت كاى تتأبط ذراع غافن مجرد لمسة خفيفة كلمسة الفراشة، وهى تبتسم لجين معربة لها عن إعجابها بثوبها، استجمعت جين شجاعتها من مكان دفين فبادلتها الابتسام وتحدثت بطريقة طبيعية، بينما كان كولن يحيطها بذراعه فى خفة. لم تقو جين على مبادلة غافن النظر. وبدلاً من ذلك أخذت تراقب باعجاب جمال وجه كاى الهادئ بتعبيره الصافى وعينيها ذات الأهداب الكثيفة وهما ترمقانها بطريقة صادقة ودودة. لم يكن فيها ما ينم عن الخداع مثل سارة، كانت هناك ثقة كاملة بالذات جعلت جين تحس و كأنها صبية فى طور الدراسة الثانوية. غير أن جين لم تكن تدرك كم كانت بدورها تبدو نضرة فاتنة فى ثوبها وكم أضفى عليها الحياء مسحة من البراءة.

كانت تجيب فى هدوء على أسئلة كاى حول انطباعاتها عن الجزيرة وعندما تدخل غافن فى الحديث وذكر لها خدماتها للمدرسة، تبادلا النظرات السريعة. ليتها تستطيع أن تتصرف تصرفاً منطقياً بادرها قائلاً:

«أريد أن أتحدث معك فى شأن المدرسة، قد لا يكون هنا المكان

المناسب. تحدثت طويلاً مع آن موراى.»

ارتبكت دقات قلب جين. ترى ماذا قالت له آن؟ يا لى من حمقاء! كان يجب أن انبهها ألا تقول شيئاً. ابتسمت أخيراً قائلة:

«فى وقت آخر. اسمحوا لى الآن. يجب أن أذهب لأرى ما إذا كان أبى يريد شيئاً.»

توارت جين ومعها كولن الذى أمسك بذراعها هامساً بحدة:

«قولى لى، ماذا بينك وبين غافن؟»

«ماذا تقصد؟»

«أنا لا أعرف! إنه مجرد شعور عارض عندما تجتمعان. كأن هناك شرارات خفية تتطاير فى كل اتجاه، لا أعنى اليوم فقد. فقد لاحظت ذلك من قبل.»

«خيالك خصب يا كولن.»

ردت عليه جين بسرعة وهى تلوح من بعد الى أبيها الذى كان يجلس مع ميغان وماك تحت جرة ظليلة فى الحديقة. يجب أن تكون أكثر حرصاً ولا تدع مشاعرها تكشف و إلا كانت النتيجة مروعة، لايمكن تكهنها. وفى محاولة يائسة تمكنت من أن تقول:

«فى الواقع ان هناك نوعاً من عدم الاستلطاف بيننا، هذا هو كل ما فى الأمر. ان هذا يحدث أحياناً، مجرد تعارض فى الشخصيات.»

«ليس الأمر بهذه الأهمية»

تأبط ذراعها وانضما الى المدعوين.

عقدت جين مقارنة بين هذه الأمسية وحفلة سارة، فالجو كان مختلفاً تماماً. كانت سارة هذه الليلة فى الحفلة وقد نجح غافن فى توزيع وقته ببراعة بين سارة وكاى. انه يملك كل شئ المظهر الحسن والثراء وفتاتين جذابتين. إنه بارع حقاً، وهى بكل غبائها وقعت فى شراكه. أحست بألم فتاك بأعماقها لرؤيته يرقص مع كاى، حاولت فى يأس أن تسترخى.

رقصت جين مع ماك الذى قال:

«وافق أبوك على السفر الى سيلان لعرض نفسه على طبيب اختصاصى. كل هذا كان بتأثيرك، فقد أقنعته بأن يفعل ذلك من أجلك.»

«ماك، أنا سعيدة للغاية. متى سيذهب؟»

«يوم الثلاثاء وسأذهب معه.»

«هل أذهب معكما أيضاً؟»

خفت حدة الموسيقى وقد وقفا فى رقعة ظليلة بعيداً عن المصابيح التى علقت عبر الحديقة. حك ذقنه مفكراً ثم قال:

«لا أعرف يا جين، فغافن هو الذى سيأخذنا بطائرته.»

وقبل أن ينهى جملته، رات الرجل الذى ليس فى وسعها أن تتحاشاه قادماً وحده نحوهما فبادره ماك:

«هل يمكن أن تأتى جين معنا الى سيلان؟»

نظر اليها غافن فى صمت وأحست إنها ترتجف توتراً كمن ارتكب

خطأ. ثم قال:

«سبقم شخص آخر و طلب منى الطلب نفسه.»

تردد قليلاً ثم قال:

«ماك، هل يمكننى أن أتكلم مع جين على انفراد؟»

«بالتأكيد. الى اللقاء»

أخذ غافن ذراع جين وقادها الى رقعة داكنة من ظلال الأشجار وقال فى رقة:

«أريد فقط أن أتحدث معك قليلاً دعينا نجلس هنا.»

أشار الى مقعد تحت شجرة، اتجهت اليه جين وهى سعيدة بفرصة الجلوس قبل أن تخونها قدماها.

«أبلغتنى آن بأنك تريدين عملاً.»

رفع يده طالباً منها الهدؤ أمام شهقتها ثم قال:

«أنا آسف، دعينى استخدم عبارة اخرى. هل تقبلين بالعمل فى المدرسة بشكل منتظم فى مقابل راتب مناسب؟ أظن تنوين البقاء هنا، أليس كذلك؟»

ثبتت جين نظرها على يديها وقد شبكتهما فى توتر. كيف يمكنها أن تفعل ذلك الآن؟ كانت لديها مخاوف من العمل فى مدرسة غافن، والآن زادت تلك المخاوف بعدما أدركت أنها تحبه:

«لاأعرف.»

«لا تعرفين ماذا؟ لا تعرفين ما إذا كنت ستبقين فى سارامنكا، أم لا تعرفين ما إذا كنت تودين العمل فى المدرسة؟»

أسرعت ضربات قلب جين، فقد غمرها احساس بالطمأنينة وهى قريبة منه. ما هذا التبدل المفاجئ فى مشاعرها نحوه. قالت:

«كانت مجرد فكرة، فانا لا أريد أن.»

كانت على وشك أن تقول أن تقول «لا أريد أن أعمل لديك» ولكن الكلمات توقفت.

أطلق ضحكة صغيرة وقال:

«لا تفضلين أن تعملى فى مشروع يخصنى. أليس كذلك؟»

ابتلعت ريقها بصعوبة قائلة:

«هذه هى الحقيقة مادمت قلتها بنفسك.»

كانت تعرف أنه غضب. نظر اليها بعينين قاتمتين قائلاً:

«شكراً لصراحتك. هل لى أن أسأل لماذا؟»

«لا أعرف.»

لم تقو على الاشاحة بعينيها بعيداً، فقد كانت عيناه مركزتين عليهما.

«نعم تعرفين. ماذا هناك؟ أنت خائفة من أن تقدمى على أى عمل يؤذينى. أليس كذلك؟»

شئ ما فى صوته فجر كل توترها العصبى. لماذا أخضع لهذا الارهاب؟ لماذا أصبح كالآخرين؟ ليس لدى ما أخسره. انه يتصورنى

www.elromancia.com

طفلة... فما من شئ على الاطلاق يقدر أن يجعله ينظر الى كما ينظر الى سارة.

«أنا لا أريد أن أعمل معك لأنك تتصور إن فى امكانك أن تصدر الأوامر للجميع لكنى لن أقبل بذلك.»

«إما أنك تمزحين و غما أنك جننت، أنا أصدر الأوامر للجميع؟ متى رأيت أو حدث؟»

أضفت نبرته الساخرة برودة على كلماته. همت جين بالوقوف. لكنه بحركة عنيفة أجلسها مكانها قائلاً:

«اجلسى. أنا فعلاً أحب أن آمرك أحياناً! اللعنة على هذا التفكير لماذا تدخلين دائما فى معارك خفية معى؟»

«أنا؟ كيف كان ذلك؟»

«بالطريقة الأنثوية الماكرة، واضافة الى ذلك...»

«أنا لن أبقى هنا لأسمع اهاناتك.»

نهضت وضربت الأرض بقدمها بشدة وقالت:

«كيف تجرؤ أن تتحدث معى بهذا الشكل، عد الى صديقاتك وأنا...»

«وأنت تعودين الى صديقك كولن.»

وبعد ما نهض اضاف:

«أنت لا تقبلين الاهانة، بينما تسمحين بتوزيعها على الآخرين، لماذا لا تقدمين على صفعى بالمرة؟»

«لا تستفزنى.»

تطلعت بعينيين قلقتين نحو المنزل فبادرها قائلاً:

«لم يلاحظ أحد شيئاً. لكن استمرى، فأنت تحققين تقدماً.»

«أنا أكرهك! هل تسمعنى. أكرهك!»

«تكرهيننى؟ اذن دعينا نرى ما اذا كنت تكرهين هذا أيضاً.»

جذبها نحوه بقبضة قوية ساحقة جعلتها لا تقوى على الحركة. حاولت ان تقاوم لكن فشلت. أبعدها عنه ساخراً وقال فى حدة:

«لن أعتذر لك حتى ولو اعتذرت لى.»

صاحت وهى ترتجف غضباً من هول الصدمة:

«أهكذا تحارب النساء؟»

«نعم. اذا أردت هذا التفسير.»

«أنت حقير، كريه!»

«أنا أعرف ذلك، ولذلك فلن تستغربى إذا كان سلوكى سيئاً.»

مع هذه الكلمات استدار عائداً الى المنزل بينما وقفت جين وحدها، ثم سمعت حلركة مجاورة فاستدارت لترى كولن أمامها. كان فى حالة غضب. أحست بأنها على وشك البكاء ردت يدها لتلمس ذراعه فأبعدها عنه واستدار بدوره عائداً الى المنزل. أغلقت جين عينيها. أما لهذا الكابوس من نهاية؟

www.elromancia.com

٩- العاصفة!

استرجعت جين وهى فى فراشها أحداث ليلة أمس و تراءى لها ما شاهدته. كان غافن يراقص سارة وقد انهمكا فى الكلام بينما كان كولن يمسك بكاى بين ذراعيه. قفزت جين جالسة فى فراشها: لا فائدة من الاستغراف فى التأمل. عليها الآن أن تنهض وتمضى اليوم مع أبيها فى هدوء.

بادرها قائلاً وهما جالسان فى الفناء:

«هل استمتعت امس؟»

«أنا سعيدة بك يا يا أبى. علمت أنك ستعرض نفسك على صديق ماك هذا الأسبوع.»

«نعم ضغط ماك على كثيراً.»

«أنا سعيدة بذلك يا أبى. أنت تبدو أفضل مما كنت يوم وصولى الى سارامنكا.»

مدت يدها وأمسكت بيده قائلة:

«هل يمكننى أن أعيش معك هنا؟»

لم تكن تقصد أن تقول ذلك، لكن شيئاً ما دفع تلك الكلمات الى فمها.

«جين، إبنتى العزيزة اتريدين البقاء حقاً. لم أعد فى حاجة الى طبيب ما دمت ستبقين الى جانبى.»

صاحت جين وهى تضحك وتبكى فى ين واحد:

«بل يجب أن تذهب يا ابى.»

«لا تقلقى كنت أمازحك فقط والان سأذهب لأرى إلن.»

انفردت جين بنفسها وراحت تفكر: ألزمت نفسى بالبقاء وعلى أن أتعلم كيف اواجه الأمور، على أن أتعلم كيف أضع على جلدى طبقة ثانية تحمينى من سخرية غافن. انا أعرف أنى اخترت القرار الصواب فأبى وليس غافن هو الذى يهمنى.

حضر غافن وماك صباح الثلاثاء ليصبحبا والدها الى المطار. كانت سارة أيضاً فى السيارة. حاولت جين ألا تنظر الى غافن الذى حياها عن بعد وكأنه يتماشى الكلام.

وهكذا رحلوا وتركوها واقفة هى وغلن على السلم. داخلها فور إختفائهم شعور بالفراغ. لم يمر على وجودها فى سارامنكا سوى أسبوعين وهى تشعر الآن بأنها ستفتقد الرجل الحنون، والدها.

بقى فى خاطرها وجه غافن عندما كان ينظر اليها منذ لحظات ليعتصر قلبها. كانت نظرته رافضة حادة. حاولت ألا تذكر تلك البسمة الخفيفة المنتصرة التى علت شفتى سارة وهى تلوح من السيارة.

www.elromancia.com

صحبتها ميغان فى الثامنة صباحاً الى المدرسة ونجحت جين بعد جهد فى تنحية غافن و سارة عن خاطرها كما تجنبت ميغان بمهارة الحديث عن غافن أو كولن. فى ذلك المساء اتصل بها أبوها تلفونياً، كان صوته مليئاً بالحيويه و أبلغها أن الطبيب المختص طلب منه البقاء ليلة اخرى واكد لها أنه سيتصل بها مرة أخرى مساء الغد للاطمئنان عليها.

أمضت جين اليوم التالى مع ميان فى شراء بعض الحاجيات من بورت باتريك ثم تناولتا القهوة المثلجة فى منزل ميغان. غادرت جين منزل ميغان فى الخامسة تقريباً و أصرت على أن تعود سيراً على الأقدام للمرة الاولى أحست بوحدة شديدة. فور عودتها الى المنزل صاحت منادية:

«إلن، لقد عدت.»

لاجواب. الصمت مخيم على المنزل. أحست جين بالحيرة دخلت الى المطبخ وهى ترجح أن تجد مديرة المنزل هناك. بدلاً من ذلك وجدت رسالة من إلن تخبرها فيها بأن اختها مريضة وقد ذهبت لترعى أولادها وانها ستعود الليلة.

لم يكن أمامها إلا أن تحاول الاستفادة من وحدتها وتلهى نفسها بأى عمل منتظرة اتصال والدها وعودة إلن. جلست فى فناء المنزل تتصفح بعض كتب والدها. كان الجو هادئاً لا يزعج سكونه سوى رفرفة جناح طائر يلمع تحت أشعة الشمس. اخترق صوت آخر ذلك السكون، صوت طائرة، وعندما توقف ساد الهدوء من جديد. انغمست جين فى القراءة لتنتبه فجأة على صوت الامطار تهطل. أخذت ترقب

قطرات المطر الكبيرة تتناثر أمامها بينما تبدل الجو وازداد برودة وقفت الآن وسط الحديقة وقد رفعت وجهها لتحس قطرات الماء على وجنتيها. المطر هنا يختلف تماماً عن المطر فى انجلترا. كانت القطرات كبيرة، ناعمة، ومهدئة بشكل غريب. بعد لحظات أدركت أنها ستبتل فاحتمت مرة أخرى بالمظلة ترقب المطر. سمعت رنين التلفون فدخلت مسرعة.

كان الخط يصدر أصواتا متذبذبة من على بعد وجاء صوت أبيها ضعيفاً:

«جين هل تسمعينى؟ ذهبت الى الطبيب وهو يعتقد أن مرضى عصبى فى الاصل. واختفى صوته تماماً فقالت جين:

«أكاد لا اسمعك. لكنى سعيدة بهذه الأنباء.»

تعالت الطقطقه فى الخط التلفونى فاضطرت جين أن تبعد السماعة ثم صاحت:

«لا أستطيع أن أسمعك بوضوح.»

«سأحاول أن أتصل بك ثانية، الى اللقاء يا جين.»

«الى اللقاء يا أبى.»

ماذا اراد أن يقول. لا يهم. الأمر الأساسى هو أن الطبيب يرى أن مرض أبيها ليس خطيراً. وشعرت بالراحة. أشعلت النور الذى أضاف بعداً جديداً الى الامطارالمتساقطة فقد عسكتها وبدت كجدار فضى لامع يتوهج ويتحرك.

www.elromancia.com

تغيرت طبيعة المطر بعد نصف ساعة. فقد هدأت قليلاً. رفعت جين رأسها وقد ظنت أن المطر أوشك على التوقف لتسمع فجأة صوتاً مدويا. أضاء البرق السماء كلها وفى الوقت نفسه جاء صوت الرعد يفوق كل ما سبقه من أصوات، كان صوتا عنيفاً يتردد صداه فى كل مكان أحست بضربات قلبها تسرع، تخاف من العواصف منذ أن رأت فى طفولتها شجرة تنقسم الى نصفين بقوة البرق.

هرعت الى الداخل وأنزلت الستائر، لكنها وجدت نفسها ترتعش فى انتظار عودة البرق. أحست جين بالوحدة والخوف كما لم تحس بهما من قبل وبعد لحظات سمعت نباح كلب وكأنه نواح، إنه كارلو! وسط

مخاوفها تولد لديها نوع من الشجاعة. تخيلت وجه كارلو وهو ينظر اليها وقدرت أن تفعل شيئاً من أجله. ركضت جين نحو الباب الخلفى وقد تضاءل خوفها بعد أن أشتد قلقها على كارلو.

زلت قدم جين وتدحرجت مراراً عبر الممر الموصل بين الباب الخلفى و الأشجار الكثيفة التى تفصل بين منزل أبيها ومنزل غافن. بدت تلك المنطقة كمكان مهجور وقفت تحتمى بالاشجار ثم ما لبثت ان رأت شبحاً أسود يتجه نحوها فصرخت فى نوبة ذعر وتلاحقت ومضات البرق لترى جين من خلالها رجلاً يتقدم نحوها رافعاً يديه. سمعت من يناديها؛ جين اختلط عليها كل شئ: العالم، والمطر والظلمة فسقطت مغشياً عليها بين ذراعيه.

فتحت جين عينيها لتجد غافن قربها فتملكها شعور بالذعر لا علاقة له بالعاصفة. قفزت جالسة، تلفتت حولها وهى تتحسس ثيابها

المبتلة:

«نحن فى منزلى يا جين.»

رأت كارلو جالساً فى جوارها وقد علا وجهه تعبير قلق وكأنه فهم كل شئ كما رأت غافن بوضوح الآن. كان شعره لامعاً وقد بلله المطر والتصقت ثيابه المبتلة :

«نحن فى منزلى يا جين.»

رأت كارلو جالسا فى جوارها وقد علا وجهه تعبير قلق وكأنه فهم كل شئ كما رأت غافن بوضوح الآن. كان شعره لامعاً وقد بلله المطر والتصقت ثيابه المبتلة بجسده. قفزت من مكانها وقد رأت البرق يتوهج قرب النافذة لتسمع صوت انفجار صغير أعقبه انقطاع التيار الكهربائى. سمعت زمجرة الرعد وكأنه آت من السقف فقفزت»

«كل شئ على ما يرام سأحضر مصباحاً.»

حاولت التخلص من قبضته قائلة:

«لن أبقى وحدى هنا معك.»

«لا تكونى حمقاء، ستمكثين هنا على الأقل حتى تنتهى هذه العاصفة.»

كانت الغرفة حالكة الظلام، استدارت وهى لا ترى شيئاً فتعثرت باحدى قطع الشاث، مد ذراعه وأمسك بها بقوة وهى تحاول دفعة بعيداً:

«لا تحاولى الهرب و لا تقاومى. اطردى الخوف ولو للحظة واصغى

إلى.»

وبحركة مفاجئة جذبها الى الأريكة.»

«لماذا جئت الى هنا ياجين؟»

«لأرى ما إذا كان كارلو فى مأمن. لم أعرف أنك هنا.»

«هل جئت وحدك فى مثل هذا الجو، من أجل الكلب.»

«سمعته ينبح، وخيل إلى أنه خائف. لم أتوقع أن أراك.»

«كنت فى طريقى لأتفقدك أنت و إلن.»

«إلن ذهبت تزور أختها وكنت وحدى.»

بدأت ترتعش وكأن احساسها بالصدمة جاء متأخراً.

«يا لك من طفلة مسكينة»

لم يكن هناك أثر للسخرية فى صوته، لم تجد سوى الشفقة وهى لا تحتاج اليها، تململت.

«ليس هناك داع لتشعر بالشفقة على.»

ارتجت الغرفة بصوت الرعد، فسقط شئ من قطع الزينة قربها فارتعدت.

فى لحظة الصمت التى أعقبت العاصفة سمعت تردد انفاسه وأحست بيده تقترب من وجهها فهمست قائلة:

«ارجوك ابتعد عنى.»

«جين، آه لو تعلمين...»

جاء صوته عذباً مرتعشاً.

«ما من فائدة يا جين. لم يعد ممكناً استمرار الصراع بيننا. قولى إنك لا تكرهيننى.»

تحسس ذقنها ثم ربت على وجنتيها قائلاً:

«أحبك، ايتها الصغيرة.»

كاد قلبها ينفطر فصاحت وهى لا تصدق:

«لا تكن أحمقاً.»

«أحبك، لم أقل هذه الكلمة لأية امرأة مثلك، لم لا تضحكين، ألا تجدين هذا مضحكاً للغاية؟»

«لكنى لا أصدق. هل هذه دعابة؟»

صدرت منها أنه باكية.

«جين،حبيبتى لا تبكى أرجوك. لا أحتمل رؤيتك و أنت تبكين.»

نسيت العاصفة، لم تعد تزعجها الآن. مدت يدها وتحسست وجهه قائلة:

«قلها مرة ثانية.»

«أحبك.»

«وأنا أحبك ايضاً، كنت أعتقد أنك تكرهنى.»

«كنت أريد أن أكرهك. أتذكرين عندما دخلت بيت أبيك وكنت تعزفين على القيثارة. رأيتك فأحسست لأول وهلة بالخوف. فأنت

www.elromancia.com

صغيرة وأنا أكبرك بثلاثة عشرة سنة.»

وضع اصبعه على شفتيها ليحبس أنه ألم و أضاف:

«اسمعينى حتى النهاية يا حبيبتى. تلك الليلة فى حفلة سارة كنت أخطط للوصول إليك لكنى تراجعت لأننى أيقنت بأننى أحبك فى صدق. ومع ذلك كنت أقاوم فكرة الاعتراف بذلك. ولهذا بدوت لك قاسياً متعجرفاً.»

قالت وهى ترمقه بحنان:

«أدركت أنى أحبك فى الكنيسة يوم حفل الزفاف. كنت أقاوم هذا الحب بدورى لأننى. اعتقدت بأنك تحب سارة كما يردد الجميع.»

«اعرف ما يقوله الناس. لكن الحقيقة هى أننى لم أحب أية امرأة فى حياتى، إلى أن جئت انت. وأعرف أننى إنسان أنانى إلى أن تعلمت منك أن المال والعمل ليسا كل شئ فى الحياة. لقد غيرت لى حياتى كما غيرت حياة والدك.»

توقف برهة ثم أضاف:

«هل تبقين فى سارامنكا وتتزوجيننى؟»

«نعم... نعم يا غافن.»

خمدت العاصفة واختنق وميض البرق ودوى وبدأت مرحلة جديدة فى حياة جين و غافن.